مخطوط "إتمام الوطر" مصدر من مصادر التأريخ للحركة العلمية في تلمسان أواخر العهد العثماني

ط.د محمد بومدين

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسـان- الجزائر

ملخص: عرفت حاضرة تلمسان أواخر العهد العثماني حركة علمية وفكرية لامعةً ومتجذرةً مع الكثير من أعلام الفكر والثقافة، الذين برز منهم علماء وبيوتات علمية بكاملها تنشط في مختلف العلوم العقلية والنقلية، دونت سيرتها العلمية ومسيرتها الثقافية مجموعة من الكتابات المتخصصة، منها ما يُعرف بـ: **"مخطوطات التراجم والأعلام"**. هذا النوع المصدري الهام الذي اندثر منه جزء كبير على ما يبدو، ولم يصلنا منه إلا النزر القليل، لتبقى تلك الفترة الزمنية من تاريخ الجزائر عامة وتلمسان خاصة، مغمورة على مستوى النخبة العلمية الفاعلة بها، بيد لم يكن في أي حال من الأحوال قادرًا على أن يعدم حظ تلمسان من أقلام المؤرخين والعلماء الذين نقلوا لنا أخبارها الثقافية في إطار إسهامات المدرسة الاستعمارية في مرحلتها الأولى وأعلامها، على غرار أنموذج عاش في القرن **13هـ/19م**، وأرخ بالمعاشية والمشاهدة، والمشاركة الثقافية المباشرة على ما يظهر لمجريات الأوضاع الثقافية بتلمسان أوائل القرن المذكور، ألا وهو العالم أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**، صاحب مخطوط **"إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر"** الّذي يتناول زمنيًا ومكانيًا، ثلة من رجال العلم وأعيان مدينة تلمسان، بالاضافة لمجموعة هامة من البيوتات العلمية التلمسانية التي أوردها صاحب المخطوط، مشيرًا إلى أصولها التاريخية، ونسبها، وأهم تفاعلاتها العلمية داخل تلمسان وخارجها، كبيت ابن هطال التلمساني، وبيت المجاوي التلمساني، وبيت ابن الفخار التلمساني، وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: تلمسان، القرنيين **12هـ/ 18مو13هـ/ 19م**، بيوتات العلم، العلماء، أبو عبد الله محمد الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**.

The manuscript of "itmam al-watar" is one of the sources of history for the scientific and intellectual movement in Tlemcen at the end of the Ottoman era

Doctorant: Boumedine Muhammad.

Université Abou Bekr Belkaid - Tlemcen –, (Département d'histoire - Faculté des sciences humaines et sociales), L'Algérie.

Abstract: The metropolis of Tlemcen at the end of the Ottoman era knew a brilliant and rooted scientific and intellectual movement with many prominent figures of thought and culture, of whom emerged scientists and entire scientific houses active in various mental and transport sciences, codified by a group of specialized writings, including what is known as: **"Manuscripts of translations and flags"**. Of which a large part of it seems to have disappeared, and we have received little of it, to keep that period of time from the history of Algeria in general and Tlemcen in particular, immersed in the level of the scientific elite active in it, but he was not in any way able to lose Tlemcen’s luck from The pens of historians and scholars who conveyed to us its cultural news within the framework of the contributions of the colonial school in its first stage and its figures, similar to a model that lived in the **13AH/ 19AD** century, and chronicled living and watching, and direct cultural participation as it appears to the course of the cultural situation in Tlemcen at the beginning of the aforementioned century, namely the scientist Abu Abdullah Muhammad ibn Ali ibn Muhammad ibn Abdullah ibn Musa ibn Muhammad Fatha Al-Zajai Al- Tilimçāni, the grandson **(was alive in 1284AH/ 1867AD),** the author of the manuscript **"'iitmam al-watar"** which deals with temporally and spatially, a group of men Science and notables of the city of Tlemcen, in addition to an important group of scientific houses of Tlemcen that were mentioned by the owner of the manuscript, referring to its historical origins and lineage and the most important scientific interactions inside and outside Tlemcen, such as **"the house of Ibn Hatal Al-Tilimçāni"** and **"the house of Al-MdjawiAl-Tilimçāni"** in Tlemcen, And **"the house of Ibn al-Fakhar al- Tilimçāni "**, and others.

Keywords: Tlemcen,the two centuries **12AH/ 18AD** and **13AH/ 19AD**,scholars,houses of science,Abu Abdullah Muhammad Al-Zajai Al-Tilimçāni, the grandson **(was alive in 1284AH/ 1867AD)**.

تمهيد:

تعتبر المخطوطات كنزًا حضاريًا وإرثًا ثقافيًا، يُمثل عراقة الشعوب التي تفتخر بتاريخها الطويل، وحضارتها الراقية، ونظرًا لما تمثله محتوياتها المعرفية والمنهجية من قيمة علمية وتاريخية، باعتبارها أكثر حجة ومصداقية على مستوى التأريخ لمجريات الحوادث التي وقعت في الماضي، ومن أكثر الدلائل والبراهين، على مدى تقدم وتطور شتى العلوم العقلية والنقلية بمختلف الحواضر العلمية والمراكز الحضارية ومدنها. فقد اهتمت، أقول؛ معظم المؤسسات العلمية العالمية اليوم، بجمع وحماية هذا الرصيد من التلف والضياع، ورقمنته، مثل المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس التي عملت جاهدةً منذ تأسيسها في النصف الثاني من القرن **10هـ/16م**، بجمع المخطوطات العربية والإسلامية، لذلك أضحت رفوفها تحتوي على الشيء الكبير من المادة العلمية الأصيلة والدقيقة، الخاصة بالموروث الثقافي للأمم العربية وغيرها عبر المراحل التاريخية المختلفة.

إشكالية الدراسة:

لطالما كانت المكتبة الوطنية الفرنسية الرقمية بباريس"**Gallica** " ، من بين أهم الصروح الثقافية في العالم الرقمي، التي تظم رصيدًا هائلاً من المخطوطات المتعلقة بتاريخ البلدان العربية والإسلامية، كدول المغرب العربي في العصر الحديث، وحواضره العلمية، مثل تلمسان التي كانت تنشط فيها وقتذاك أسر علمية في مختلف ميادين المعرفة والثقافة. لكن وللأسف؛ لم تؤرخ لهذه البيوتات العلمية لا المصادر المحلية ولا الأجنبية، إلا ما ورد في تواليف المخطوطات التي قُيِّدت من قبل المدرسة الإستعمارية في النصف الثاني من القرن **13هـ/19م**، في شكل استريوغرافية علمية، كانت بدافع تلبية طلبات القادة العسكريين من الفرنسيين، الذين كانوا يبحثون عن إعادة كتابة التاريخ المحلي لمستعمرات ما وراء البحار، وِفق النظرة الإستعمارية الخادمة للمُستّعمِر، والهادفة لتشويه الحقائق التاريخية وتصحيفها.

وفي خِضِمِّ هذه الإشكالات، آثرنا إبراز موضوع مهم، متعلق بتاريخ الثقافة وعلمائها بتلمسان أواخر القرن **12هـ/18م**، والعقود الثلاثة الأولى من القرن **13هـ/19م**، انطلاقا مِمَّا حملته المادة المصدرية الذي يحتويها مخطوط **"إتمام الوطر"** المحفوظ رقميًا وتقنيًا في المكتبة الوطنية بباريس المذكورة أعلاه، كل ذلك في إطار جملة من الأسباب العلمية التي دفعتنا إلى التنقيب عن التاريخ العلمي المحلي لتلمسان إبان العهد العثماني، عندما وجدنا بعض ملامحه مسجلة تسجيلاً تاريخانيًا، لا نظير له على مستوى نقد أخبار العلماء والمعاصرين لهم من أهل النخبة بتلمسان، عند صاحب المخطوط أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**، الذي يُمثل بحق قلم من أقلام المدرسة الإستعمارية في مرحلتها الأولى.

فرضيات الدراسة:

كما تُؤسس فرضيات هذه الورقة البحثية على ما يمكن التماسه من قيمة علمية من الوعاء المعلوماتي لهذا المخطوط باعتباره يندرج ضِمن إنتاج المدرسة التاريخية الإستعمارية فيما يخص إعادة كتابة تاريخ الجزائر، والذي يمكن حصره في أربع مجموعات، ظهرت بداياتها في الفترة

الأولى للإحتلال الفرنسي **1830-1880**، والتي كان أغلب كُتابها قادة عسكريون أو حكام مدنيون، كان الدافع لهم فيما كتبوه، الهواية الشخصية لتسجيل الانطباعات، ووصف الحوادث، والتعليق عليها، أو من أجل أغراض إدارية ومهام عسكرية. وهو الإطار التعريفي بهذا المخطوط الذي كان تأليفه بطلب من أحد القادة العسكريين سنة **1867م**، تاريخ كتابة وتحرير أوراقه من قبل موظف الإدارة الفرنسية الخوجة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**. حيث يصرح هذا الأخير أن سبب التأليف كان خِدمةً مُقدمةً للكولونيل **"السيد دستيوي"**، وهو يقول بهذا الخصوص، غير موضح لطبيعة هذه الخِدمَة: «**(...) جمعت منه نبذة كافية من جملة صالحة وافية في أخبار بعض متأخري علماء تلمسان ومن كان بها بهذه المائة من الأعيان خدمة لسيد الباب العالي الجامع (...) المفاخر والمعالي الحائز لها غير مزاحم (...) حاكم الايالة الوهرانية الكولونيل السيد دستوي (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة: 3/ أ). والذي أتحفه بأسمى عبارات التبجيل والاحترام، حيث قال: «**(...) مازالت أيامه أعيادا ومواسم (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 2/ ب).

أهداف الدراسة:

وعليه، جاءت هذه الدراسة لتساهم مساهمة جادة في الحقل الثقافي لمدينة تلمسان إبان الفترة العثمانية، في ورقة علمية موسومة بـ: «**مخطوط "إتمام الوطر" مصدر من مصادر التأريخ للحركة العلمية في تلمسان أواخر العهد العثماني**»، بغية إماطة اللثام عن واحدة من الموضوعات الثقافية المرتكزة في مضانها البحثية على ثلاث أضلع. نوجز عنصرتها على شاكلة النقاط التالية:

الضلع الأول: مُخصص لتقديم صورة عامة وموجزة عن طبيعة المخطوط **"إتمام الوطر"**، في نوعيته، وأهميته المعرفية والمنهجية في التأريخ لمجريات الحوادث الثقافية بحاضرة تلمسان في الفترة محل الدراسة.

الضلع الثاني: يُركز بالدراسة المعتمدة على التقييم والتحليل في الحركية العلمية والفكرية لنخبة البيوتات العلمية في تلمسان وأعيانها أواخر العهد العثماني من خلال المخطوط محل الدراسة.

الضلع الثالث: يبحث في الإسهامات الثقافية لعلماء تلمسان الوارد ذكرهم في المخطوط.

وبناءًا على هذه الطروحات المتمحورة حول **"الملاحظة والقياس"**، إرتأينا أن نسلك منهجيًا ومعرفيًا، دروب هذا المسعى العلمي على نمط الدراسات البيبليوغرافية التقييمية لأعمال الأعلام، بهدف نفض الغبار عما تكتنزه مؤلفاتهم من ملامح فكرية وثقافية ذات الإنتاج الراقي لعلماء وشيوخ تلمسانيين، عاشوا في تلمسان أواخر العهد العثماني، وأصبحت أدوارهم العلمية تلك، مرآة عاكسة للتاريخ الأدبي والثقافي بالمدينة المذكورة، في ظل فِترة سياسية أقل ما يُقال عنها أنها لم تكن تخدم رجال الفكر والثقافة بتلمسان العثمانية خاصة وإيالة الجزائر على العموم. مرتكزين في ذلك على المنهج السردي التحليلي وأسسه القائمة على الكرونولوجيا التاريخية، التي تنطلق من تاريخ ميلاد العالم، وصولاً إلى ووفاته، مرورًا بأنشطته العلمية والفكرية في البيئة الثقافية التي خَصَّها لنفسه بالعطاء الفكري والثقافي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الوعاء المعلوماتي للمخطوطات في بيان علم هذه الأمة وتاريخها مُدوَّن فيها، ولا شك أننا في حاجة ماسة إليها كلما تقدمت بنا السُنِين، باعتبارها حلقة توصل الماضي بالحاضر، خاصة المتعلقة منها بعلم التراجم والشخصيات العلمية، التي تتيح لنا التعرف على علماء وأعيان المدن والحواضر العلمية، والتي يطلق عليها عادة بـ: **"المخطوطات التاريخية"** التي تغطي فترات زمنة، لا يزال بساط البحث فيها غير مطروق على مستوى الأعلام الفاعلة فيها، وتفاعلاتهم اليومية في مختلف المؤسسات الثقافية والاجتماعية التي أثروا وتأثروا بها.

1.التعريف بالمخطوطة المظهر الظاهري :-

لقد أُدرِج تصنيف مخطوط **"إتمام الوطر"** ضمن الوثائق المخطوطة البيوغرافية الرقمية بقسم المخطوطات التابع للمكتبة الوطنية بباريس**"Gallica"** المتاحة على شبكة الإنترنت مجانًا، تحت رقم: **5753**، والتي تُعَرِّف بالأشخاص بمدينة تلمسان ووهران ما بين **1801م** حتى **1900م**. في إطار التسجيلات الإدارية الخاصة بهذه المكتبة والمقيدة وفق قانون رقم:**78 753** المؤرخ في **17** جويلية **1978م**.

يُصنف مخطوط **"إتمام الوطر"** الذي بين أيدينا تقنيًا، إلى قائمة المخطوطات المُصوَّرة إلكترونيًا، ودراسة هذا النوع من المخطوطات تتطلب معرفة ودراية بأمور التصوير، وخبرة فنية لمعرفة ما تحتويه الصور من لمسات فنية وتغييرات كتابية عبر الأزمنة والعصور.

11. الملامح المادية:

أ)صفحة العنوان:

قد درج المؤلفون القدامى عنوان المخطوط واسم مؤلفه إما في بداية المخطوط أو في نهايته، وكان المخطوط يغلف بورقة بيضاء حماية له من التلوث، كما كان البعض يلجئ إلى إضافة عنوان المخطوط على هذه الورقة، وإذا تأملنا في المخطوط العربي نجد أن العرب في أول عهدهم وحتى القرن **13هـ/19م**، لم يعرف الكثير من مُؤلِّفيهم صفحة العنوان، حيث الناسخ الذي ينسخ المخطوط يضع العنوان واسم المؤلف في الصفحة الأولى في بعض الأحيان. وهو ما نلاحظه في مخطوط **"إتمام الوطر"**، حيث لم نجد فيه صفحة خاصة للعنوان، بل أضيفت له ورقة بيضاء تحمل العنوان باللغة العربية وفقرة كاملة باللغة الفرنسية تحمل معلومات عن مؤلف المخطوط، إسمه، ونسبه، وسنة التأليف...، لتتخلله ورقة بيضاء أخرى، وبعدها مباشرة نجد بداية المخطوط الذي يبدأ بالبسملة والحمدلة، وتوطئة أدبية في شكل نثر قصير يثني فيها صاحبه على علم التاريخ وفائدته على البشرية، ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي الموالي اقتضبنا ما يهمنا منها: "**(...) بسم الله الرحمن الرحيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (...) الحمد لله الذي أرشدني وهداني (...) ولا سيما علم التواريخ الذي هو لسان العلوم بمثابة التمر على الشماريخ غذ به تزكوا أخلاق الانسان (...) وتعلوا قيمته بين الناس (...) والصلاة والسلام على سيد الخلق سيدنا محمد الذي سار فضله سير الشمي في المغرب والمشارق وعلى أله وصحبه (...) وبعد (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 2/ ب).

ب)العنوان:

إن عنوان **"إتمام الوطر"**، قد اقتبسه صاحبه من عناوين مماثلة لعلماء مشارقة، كتبوا حول السير والتراجم في العصور التي سبقت عصر المؤلف، فالكثيرة من عناوين المؤلفات المشرقية مطابقة لهذا العنوان، وقد كتب صاحب المخطوط في شأن تسميته لهذا المؤلف، ما يلي: "**(...) وسميتها التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 5/ أ). وعن موضوع هذا المؤلف ذكر يقول: "**(...) وأنه جامع كل من له طبع كريم وشرف كامل صميم (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 52/ ب).

ت)عناوين الفصول والعناوين الفرعية:

لقد سلك الزجاي الحفيد في مؤلفه هذا على شاكلة مناهج المخطوطات المشرقية والمغربية على حد سواء، حيث لم يكن عندهم تمييز بين الفصول وعناوينها، والعناوين الفرعية أيضًا، إنما كانت جميعها تشكل نصًا واحدًا دون تمييز في لون الحبر أو حجم الخط، ولكن فيمَا بعد بدأ يظهر تمييز بين الفصول والعناوين الفرعية بتضخيم الخط أو تغيير لون الحبر ليسهل التمييز بينها. وهو ما اعتمده صاحب مخطوط **"إتمام الوطر"** إذ جعل العناوين الرئيسية بالخط الضخم، وأبقى على هذه العناوين ضِمن نص المخطوط، من دون تمييزها في سطور منفردة، حيث اكتفى في بداية كل مقصد، بتدوين العنوان الذي يتبعه النص الكامل.

ث)الهوامش:

كان ناسِخوا المخطوطات يتركون هوامش تحيط بالصفحة المكتوبة تتناسب مع حجم الصفحة، ومع مرور الوقت بدأ قُراء المخطوطات بكتابة تعليقات على هذه الهوامش، التي أطلق عليها: **"التعليقات والتصويبات"**، حيث لم نلاحظها كثيرًا في مخطوط **"إتمام الوطر"** حتى تكاد تنعدم. وأغلب الظن أن ما هو موجود من تعليقات في شكل مصطلحات وكلمات في هذا المخطوط، قد وضعها صاحب المخطوط نفسه، لهذا نرجح بأن المخطوط الذي بين أيدينا، أصيل وغير منسوخ، يعود لصاحبه مباشرة.

ج)علامات الترقيم:

لم يعرف العرب علامات الترقيم في القرن الأول للهجرة، سوى النقطة التي كانت عبارة عن دائرة في وسطها نقطة، أما المخطوطات فتختفي فيها الدائرة، وتظهر النقطة للفصل بين الجمل. وهو ما نلمحه بشكل واضح في مخطوط **"إتمام الوطر"** الذي يخلو من أي علامات ترقيم.

ح)حجم المخطوط:

لم يكن للمخطوطات أحجامًا ثابتة وإن كان هناك حجم ثابت للمخطوطات العربية في القرون الهجرية الأولى تقارب **25×18سم**، واشتهرت بعدها مقاسات المخطوطات العربية بالمقياس نفسه على العموم خلال العصور الوسطى والحديثة، وهو تقريبًا مقاس مخطوطة **"إتمام الوطر"** التي تقارب **26×20سم**.

خ)خاتمة المخطوط:

ذكر المؤلف في خاتمة **"إتمام الوطر"** عبارة أدبية يثني فيها على الله عز وجل ويشكره على السداد في الإنتهاء من التأليف، بالاضافة إلى ذكره لتاريخ النسخ، باليوم، والشهر، والسنة الهجرية، بقوله: "**(...) فلله الحمد على إتمامه واكماله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وأله**

(...) وقد فرغت من تقييده وتحريره يوم الخميس الثامن من ربيع الأول من عام أربعة وثمانين ومائتين وألف عربية هجرية والعاشر من يليه (...) والثامن والعشرين من يونيه (...) سنة سبع وستين وثمانمائة بالميم وألف عجمية مسيحية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (...)» (الزجاي، 1867، الورقة 51/ أ). ليختم صاحب المخطوط هذا المؤلف بذكر إسمه ونسبه، وبدعاء لوالديه ولأشياخه، لتكون آخر عبارة في الختام، الحمدلة، بقوله: «**(...) وكتب الحروف عبد ربه محمد بن علي (...) التلمساني دارا اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأشياخنا أجمعين وصلى الله على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 51/ أ).

د)صاحب المخطوط ووظيفة الخوجة السامية في الإدارة الإستعمارية:

صاحب المخطوط هو أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد **(كان حيا سنة 1284هـ/1867م)**، أحد أعلام بيت الزجاي التلمساني، الذي تمتد جذوره الأسرية بتلمسان للعهد العثماني، حيث كان الزجاي الحفيد موظف بالإدارة الفرنسية بتلمسان، وهو من الخوجات التلمسانيين الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات سياسية واجتماعية ودينية محدودة، من خلال الوظائف الإدارية الفرنسية التي جعلت منهم أداة ثقافية للتعرف على تاريخ المنطقة أمثال الشيخ سي حمادي ابن الحاج العربي بن عودة السقال التلمساني (ولد بين سنتي **1200هـ 1202هـ / 1792م 1794م**(Barges, 1859, P 239.) ، الذي كان صديقًا للأب **"برجيس"**، أحد الرحالة الفرنسيين الذين دخلوا لتلمسان في خمسينيات القرن **13هـ/19م**، وحرروا من رحلاتهم التي استندوا فيها على مشاهداتهم المباشرة، ونقلوا عن مشاهدات غيرهم من المثقفين التلمسانيين، خاصة منهم الإداريين، أقول؛ حرروا تآليف عن تاريخ تلمسان وآثارها القديمة، وعملوا جاهدًا في الحصول على مخطوطات علمائها. هذه الوظائف السامية قد جعلت من هؤلاء الشيوخ التلمسانيين في تلك الفترة، في نقطة تماس مباشرة مع القادة العسكريين والمدنيين من الفرنسيين الذين كانوا يبحثون إبان القرن **13هـ/19م**، في تاريخ الجزائر عبر العصور، من خلال المخطوطات والوثائق الأرشيفية، والبقايا الأثرية التي كانت تحتوي على تاريخ مدن وحواضر الجزائر.

ولعل كثرة الإنتاج الأدبي ونشره في **"المجلة الإفريقية"** من طرف هؤلاء القادة أمثال: شار بروسلار وباربروغير وغيرهم، لدليل يؤرخ لملامح الإستريوغرافية الإستعمارية الهادفة لإعادة صناعة تاريخ الجزائر، وفق منظورها الخادم للرؤى الإستشرافية الخاصة بالمستعمرات مستقبلاً، عبر بوثقة السياسة الثقافية وحُمُولتِها الإديولوجية، الباحثة عن الوسائل المحلية من علماء وموظفين إداريين يعرفون حق المعرفة مختلف مناطق الجزائر وبواديها. إذ نقف على جملة من النماذج المثقفة من نخبة تلمسان في هذا الإطار، كان منها وفي الفترة نفسها تقريبًا، مؤلف **"تحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار جامع الكتابات الأثرية التلمسانية ـ"**، للشيخ حمو بن روستان التلمساني **(توفي قبل 1272هـ/ 1864م)**، الذي كان يعمل خوجة في الإدارة الفرنسية، بعد تخرجه من المدرسة العربية الإسلامية بتلمسان، وكان من بين الطلبة المتفوقين في الدراسة، الذين حازوا وظائف راقية بمدينتهم، وهو ما جاء في جريدة المبشر في عددها الصادر في **15**

أفريل **1855م**، ما يلي:"**هذه جريدة أسماء المشايخ المعلمين الذين فازوا عن غيرهم بالتعلم واستوجبوا اخذ الجزاء وذلك بعمالة وهران سنة 1854م (...)، وسي حمو روستان**" (المبشر، 1855، ص 26). إضافة لتقلده منصب الإفتاء سنة **1859م**، فقد وجدناه يظهر باسم **"خوجة"** أي **"كاتب"**، وربما هذا في المكتب العربي بتلمسان في هذه السنة، حسبما ورد عند **"بروسلار"** في المجلة الإفريقية، حيث وصفه بالخوجة الوفي، وقال عنه أنه: "**أحد المسلمين الأكثر تعلما واستنارة بتلمسان**" (روستان، 2021، ص 47).

إن صاحب مخطوط **"إتمام الوطر"** على ما يبدو كان على درجة عالية من الثقافة العلمية، بمثل من تطرقنا لهم للتو من الخوجات، وإذا لم تسعفنا المصادر التاريخية من التعرف أكثر عن هذا الموظف، إلا أننا وعلى ضوء مخطوطه هذا، استطعنا الإطلاع على ثقافته التي ارتقت إلى المستوى الأدبي الذي كان سائدًا على الأقل عند عامة علماء الجزائر وقتذاك، من خلال كتاباته التاريخانية الواردة في المخطوط، إلى جانب تأثره بالمؤثرات اللغوية المنتشرة آنذاك كلغة "الفرانكا" التي هي لغة أورو_متوسطية يمكن نعتها منذ القرن **10هـ/16م**، باللهجة العامية التي تتخلل بعض الكلمات المعربة من اللاتينية، كمصطلح **"أمبلاصة"** التي تعني **"المكان"** الواردة في غير موضع من مواضع مخطوط **"إتمام الوطر"**. وعليه، فإن ثقافة صاحب المخطوط لا تخرج عن ثقافة المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني في لسانياته ومكوناته اللغوية، المحلية والأجنبية.

1 2. القيمة العلمية للمخطوطة المظهر الباطني _ :

تكمن القيمة العلمية للمخطوطة في كونه يزيل الأستار عن النشاط العلمي والفكري لثلة من علماء البيوتات العلمية بتلمسان أواخر العهد العثماني، وانفراده بمعلومات تاريخية مهمة، ومادة مصدرية دسمة، لا غنى للباحث الأكاديمي عنها وعن ثناياها، وهو يحاول الغوص في التاريخ الثقافي لمدينة تلمسان، التي برزت فيها حركية علمية عميقة، مثلتها أسر علمية ذات أصول مختلفة ومتنوعة، شكلت وشائج اجتماعية وثقافية، بعضها ارتقى للطبقة التيوقراطية، عندما تمكنت هذه الأسر من اقتناص مناصب علمية واجتماعية راقية أواخر العهد العثماني، جعلتها تتبوأ مكانة متقدمة في المجال العلمي، والديني، والاجتماعي، والتجاري، ما جعل المعطيات الواردة في هذا المخطوط ذات أهمية بالغة في الإطلاع على الملامح العامة لمختلف أنشطة هذه البيوتات التلمسانية.

ومن ناحية أخرى، وجب الإشارة إلى فائدة لا تقل أهمية عن سابقاتها، نستنبطها من القراءات المتكررة لأوراق وسطور هذا المخطوط، تتعلق أساسًا بالعلاقات العلمية، وأواصر التلاقح الثقافي بين مختلف العائلات التلمسانية مع بعضها البعض، أو خارج إيالة الجزائر بين علماء تلمسان ونظرائهم من حواضر المغرب الأقصى. كما يمكن الوقوف على فوائد علمية عديدة ولا حصر لها لهذا المخطوط، تخص ما قيده صاحبه من معلومات تحيل لبعض الوقائع السياسية من حروب داخلية، وفتن وثورات محلية، وتداعياتها على النشاط الثقافي بتلمسان، كثورة درقاوة ونتائجها السلبية على النتاج العلمي لعلماء تلمسان بمثل ما وقع لمكتبة العالم الزجاي الجد، عندما أحرق درقاوة الكثير من كتبه ومخطوطاته على حد تعبير حفيده صاحب المخطوط .

هذا، ويُمكننا المخطوط قيد الدراسة من الإطلاع أكثر على بعض الطوبونيميات و التاريخية والصورولوجيات الثقافية الخاصة بأماكن مدينة تلمسان ومختلف أدوارها الثقافية والفكرية، ممَّا وجدناه عند صاحب المخطوط، ولم نجده في المصادر المحلية والأجنبية المعاصرة له، وهو ما نلمسه على مستويين اثنين:

المستوى الأول: يؤرخ لأماكن ومعالم طوبونيمية داخل قلب المدينة بتلمسان، كحي باب الجياد مقر سكنى بيت ابن هطال التلمساني، وحوز القلعة مقر ملهى لأخ العالم أبو العباس أحمد ابن هطال التلمساني السيد الحاج السنوسي ابن هطال التلمساني.

المستوى الثاني: يؤرخ لأماكن ومعالم طوبونيمية خارج أحواز مدينة تلمسان، كقرى ومداشر جبل أترارة، وبني سنوس التي كانت مكان هجرة جد صاحب المخطوط هربًا من درقاوة.

ولعل الشيء الذي يلفت الإنتباه كخاصية علمية في هذا المخطوط، هو إسهابه في ذكر نسب البيوتات العلمية، كميزة تؤكد ما اعتاد عليه رجال العلم التلمسانيين، من الشيوخ، والعلماء، والطلبة، في جمع كتب التاريخ والتراجم والأنساب، والبحث فيها، وتقييد أخبار الرجال والنساء من العلماء والأولياء ونسبهم في المخطوطات وتواليف الكتب، وهو ما لاحظه أيضًا الرحالة أبو القاسم الزياني **(ت 1241هـ/ 1836)**، لما دخل مدينة تلمسان في فترة زمنية متقدمة بقليل عن تاريخ تأليف هذا المخطوط، أي حوالي النصف الأول من القرن **13هـ/19م**، بقوله: "**(...) ولما انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد، (...) انهال علي طلبة البلاد من ذلك المصر، (...)، وقصدونا للأنس والمذاكرة، (...)، وأتحفون بما عندهم من كتب الأخبار، وتواريخ من كان ببلدهم من الأحبار (...)**" (الزياني، 1991، ص 142).

2. الحياة الثقافية للبيوتات العلمية بتلمسان ما بين سنوات 1161هـ/1748م 1262هـ/1854م، على ضوء مخطوط "إتمام الوطر":

حَريّ بنا، قبل الخوض في سياق الأبعاد الحضارية والتاريخية التي تؤرخ للأوضاع العلمية والفكرية بتلمسان أواخر العهد العثماني كما سجلها صاحب **"إتمام الوطر"**، أن نشير في عُجالة إلى تعريف البيوتات العلمية لغةً واصطلاحًا، لما يُمثله البيت العلمي من أهمية بالغة في الصورولوجيا الثقافية لأي حاضرة علمية خلال الفترة الحديثة من جهة، وباعتباره واحد من المحاور الرئيسية التي ركز فيها صاحب المخطوط عمله في الترجمة للعلماء والأعيان بتلمسان أواخر العهد العثماني.

2 1. تعريف البيوتات العلمية:

إن كلمة **"البيوتات"**، تدخل ضمن باب جمع الجمع: نحو **بيتٌ بُيوت بُيُوتَاتٌ، رَجُل رِجَالٌ رِجَالاتٌ** (الصيداوي، 1999، ص: 25)، ويجوز لنا استعمال بيوتات أو **"بيوت"** إذ يحتويان على المعنى نفسه تقريبًا. والبيت العلمي هو آصِرَة عائليّة، تضمّ مجموعة من العلماء الّذين ينتسبون إلى جدٍّ واحدٍ، تربط بينهم رابطة الدّم والأصل، كانت لهم إسهامات كبيرة ومميّز في الحفاظ على الإرث العلمي والفكري في تلمسان عبر مختلف العصور التاريخية (بومدين، 2021، ص 589).

22. بيت الزجاي الزقاي التلمساني:

يعود معنى لقب الزجاي على ما أكده صاحب المخطوط باللغة العامية **"الزْقا"** بمعنى **"يْزَقِي"** وباللغة العربية الفصحى **"يصيح"** على الناس، وذلك ما جاء على لسان الزجاي الحفيد، بقوله: «**(...) نسبة إلى الزقا بمعنى الصياح (...) ويْزقِي أي يصيح بالناس كالمستغيث (...) وفي لسان العامة يقولون زقاي (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 21/أ). ليصبح لقب هذا البيت العلمي **"الزقاي"** عند العامة في تلمسان منذ القرن الـ: **13هـ/19م**، حتى اليوم.

22 1. الصفات الخَلقية والخُلقية لأبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م):

أ)مولده وصفات الخَلْقِية:

ذكر صاحب **"إتمام الوطر"** أن ميلاد جده كان في أنصاف ربيع الثاني من عام **1161هـ/1748م**، بقرية أزفون، ثم انتقل منها إلى تلمسان، حيث قال: «**(...) وأما (...)، ولادته في النصف من ربيع الثاني عام 1161هـ/1748م، (...) بالقرية المعروفة بأسفونة (...)، إلى أن انتقل إلى تلمسان ونوى بها الاستطان (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 22/ب). وعن الملامح الشخصية لجده من الناحية الخَلقِية، قال الزجاي الحفيد: «**أما صورته فقد كان في (...)، اعتدال (...)، نحيف الجسم (...)، في لونه أسمر (...)، ضعيف اللحية (...)، جعد شعر قويم الأنف (...)، سالم الذات(...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 23/أ).

ب) بيته (عائلته):

ولم يغفل صاحب المخطوط ذكر أولاد الزجاي الجد، وهم ثلاثة: الحبيب، وعبد الله، وفاطمة، مُشيرًا أنه لم تستمر ذريتهم فيما بعد، سوى عند عبد الله، الذي تربى عند تلميذ الزجاي الجد **"الشيخ أسيف"** حتى كبر وزوجه أحد بناته، وتتلمذ عليه هو الآخر، وورثه في الطريقة الصوفية والمنزلة العلمية، فيما قاله صاحب المخطوط: «**(...) وأما أولاده فثلاثة الحبيب وعبد الله وفاطمة ولم يعقب منهم سوى عبد الله وهو ابن تركه صغير ا وتربى في كفالة تلميذه الشيخ أسيف (...)، ولما شب زوجه وأخذ منه من العلم ما تيسر وتبناه وجعله بمنزلة ولده ولقنه الطريق (...)، وورث مكانه**» (الزجاي، 1867، الورقة 22/ب).

22 2. الصفات الخُلُقِية:

قبل التطرق للصفات الخُلقية الخاصة بالزجاي الجد، لا جرم علينا أن نتوقف على المنزلة الثقافية والاجتماعية التي خصَّها صاحب المخطوط لجده، حيث وضع ترجمته وبدأ بها في مقام صَفوَة الصَّفوَة من العلماء وبيوتاتهم العلمية في هذا المخطوط، فأدرجه في **"الطبقة الأولى"** من العلماء، وهو في صدد وصف أخلاقه الدينية والعلمية، بقوله: «**(...) كان رحمه الله دائم الاكرام (...)، حليما صبورا (...)، رفيع الهمة، شديد المهابة والحرمة، زاهد في الدنيا(...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 5/أ).

22 3. تصوفه:

وعن الطريقة التي سلكها في تصوفه، فإنه قد لبس ثوب طريقة الإمام الجنيد[1]، استنادًا لما أورده صاحب المخطوط من تصريحه هو في هذا الشأن، وهو ينسب جده لشيخه الإمام الجنيد أحد أقطاب التصوف، بقوله: "**(...) كان على طريقة الجنيد(...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 6/ب).
ولقد كانت للزجاي الجد كرامات صوفية، على حد قول صاحب المخطوط: "**(...) جدي لأبي (...)، وهو الشيخ الإمام (...)، شيخ الطريقة وركن الشريعة والحقيقة، الولي الصالح، المرشد الناصح أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي (...)، صاحب الاشارات والفتوحات والكرامات (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 6/ب).
تُلتمس مكانة الزجاي الجد الدينية في الميادين العلمية والصوفية، من خلال ما أكده حفيده في هذا المخطوط، على أنه كان على منزلة علمية راقية، ورفعة دينية كبيرة، وذا شهرة علمية طائرة الآفاق، جعلت الوفود من العامة والخاصة تأتيه للدراسة وتحصيل الكرامات الصوفية، على ما ورد في **"إتمام الوطر"**: "**(...) وتكاثر صحبه واستشرى صيته، (...)، ووردت عليه الوفود للزيارة وتلقي العهود، وأقبل عليه الناس لحمل الأسرار والعلوم، وتهذيب النفوس من كل خلل مذموم، وقصده الجمهور بالهدايا، (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 6/ب).

22 4. علاقته بدرقاوة:

لقد جمعت بين الزجاي الجد ودرقاوة، علاقة مشحونة بالعداء والكره الشديد، على ما استنتجناه من مخطوط **"إتمام الوطر"**، حيث عمل درقاوة بشتى السبل على النيل منه، وكانوا المبادرين إلى ذلك، من خلال إعداد كل ما من شأنه أن يقضي على هذا العالم، على ما قاله حفيده في الموالي: "**(...) وسابقوه (...)، واجتهدوا (...)، واجتمعوا على نكايته (...)، وعزموا على مكيدته، (...)، ومكروه مكرا كبارا، (...)، وأصبحوا بدعوته كفارا، (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 7/أ). إلا أن كل تلك المكائد والمساعي لم تفلح على حد تعبير صاحب المخطوط، بقوله: "**(...) وخاب أملهم، وانقلبوا وهم خائبون (يعني درقاوة)(...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 7/أ).

22 5. مكانته بين معاصريه:

لا ضير، أن الزجاي الجد كان من العلماء البارزين خلال أواخر القرن **12هـ/18م**، أكسبته كل ذلك أبْهة علمية، لم يتوان على إثرها الباي محمد الكبير **(ت 1212هـ/1797م)**[2]، من أن يجعله

---

[1]**أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي الخزّاز القواريري (ولد سنة 215هـ/807م)**: عالم، وفقيه، صوفي، أصله من نهاوند من مدن كردستان، إلا أن مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. ولد ببغداد سنة **215هـ/807م**، ونشأ فيها. وصحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة. يعد من علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف، إذ جمع بين قلب الصوفي وعقل الفقيه، واشتهر بلقب **"سيد الطائفة"**. وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، محميَّ الأساس من شُبه الغلاة، سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: **"هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة"**. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. ينظر: (المناوي، 1999، ص 582).

[2]**الباي محمد الكبير (ت 1212هـ/1797م)**: هو أبو عبد الله محمد بن عثمان بن ابراهيم الكردي أو الباي محمد الكبير، ولد بمليانة الّتي كانت تحت قيادة والده عثمان باي الكردي، كان والي بايلك الغرب بأيالة الجزائر، حكم بصفه بايا من **20** جمادى الثانية **1193هـ/1779م** حتَّى **25** جمادى الأولى **1212هـ/1797م**، تميّز عن بقية البايات بأعماله الّتي عبّرت بوضوح أن الرّجل كان مسايرًا لمشروع حضاري تغذيه حركة اصلاحية، عاشت المخاض في

من جلسائه، وأحد العلماء الذين يُنشِّطون الجلسات العلمية من مناظرات وغيرها في مقره ببايلك الغرب، حيث قربه منه الباي المذكور قربة علمية قوية على ما يبدو، وهو ما ذكره حفيده، بقوله: "**(...) وأجلسه بمكان منه قريب (يعني محمد الكبير)، (...) فلم يلبث (...)، من كل وجد بالسؤال واشتد بينهم وبينه الجدال وجالوا فيه كل مجال، (...)، ما دار بينهم في تلد المحاضرة وما آل اليه أمرهم من سمو المناظرة (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 8/ب).

22 6. إسهاماته العلمية:

أ)الإفتاء:

إن الدرجة العلمية التي اشتهر بها الزجاي الجد، داخل تلمسان وخارجها بالحواضر العلمية بالبلاد الإسلامية كما سيأتي تبيانه أكسبته الريادة العلمية في ميادين النوازل الفقهية على ما يظهر، إذ ذكر ذلك صاحب المخطوط، بإشارة منه في ذكر كلمة **"حتى من السواحلية"** التي تعني أن الفتاوى كانت تأتيه من القريب والبعيد، وهو دليل على شهرته في القرى الساحلية لمدينة تلمسان من جهة، وتمكنه في العلوم الفقهية في مختلف أصولها وفروعها من ناحية أخرى، ومن ذلك ما قاله حفيده، بقوله: "**(...) كانت تأتيه الفتاوى حتى من منطقة السواحلية (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 9/أ.(

ب)التدريس:

إنتفع الزجاي الجد من المشروع الحضاري الكبير الذي كان الباي محمد الكبير في صدد إنشائه، هذا المشروع العلمي الذي كان فريدًا من نوعه بإيالة الجزائر، إلا بمثل ما شيده أيضًا صالح باي ببايلك الشرق، حيث عمل محمد الكبير على إكرام العلماء وتشييد المدارس والمساجد، وصيانة بعضها. وجعل إضافة إلى ذلك للعلماء والشيوخ مرتبات رسمية مُخصصة لهم من أموال الوقاف والأحباس، كمرتفقات مالية تسد حاجاتهم المعاشية، بهدف تشجيع النشاط العلمي والتعليمي، وهو ما نجح فيه بشكل مؤقت، على قول صاحب **"الثغر الجماني"** بن سحنون الراشدي **(ت بعد 1211هـ/ 1796م)**[3]: "**(...) ومن أعظم مآثره، وإن كانت كلها عظيمة، أنه رتب المدرِّسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء، إلا من كان متوليا لخطة، أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة، وشهرت النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل أحد للتدريس، واشتد الحرص على التعليم، من بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة، لقلة جدواه**"(الراشدي، 2012، ص 141).

عهده، ثم اندثرت، جمع من الخِصال الحميدة ما جعل المصادر المعاصرة له تجمع على الثّناء فيه، توفي محمد الكبير في مساء يوم الأربعاء **25** جمادى الأولى **1212هـ/1797م**، وهو راجع من مدينة الجزائر، بعد أن أدّى دنوشه، وأتم الثمانية أيام من الضيافة لدى حضرة الدّاي حسن. ينظر: (الناصري، (دت)، ص 47).

[3]**أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (ت بعد 1211هـ/ 1796م)**: أحمد بن سحنون الراشدي من مواليد النصف الثاني من القرن **12هـ/18م**، بمُعسكر، إحدى المدن الجزائرية، واسمه الكامل أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي نسبة للوطن الراشدي بنواحي **"معسكر"**، ويعد "بن سحنون" من المؤرخين الكبار ببايلك الغرب الجزائري، بحكم توليه منصب كاتب الباي "الأمير" محمد بن عثمان الكبير، إضافة لكونه ناظم شعر. وصف المؤرخ الجزائري **"أبو القاسم سعدالله"** بأنه كان بمثابة المتنبي لسيف الدولة، شاعراً، ومؤرخاً...من مؤلفاته:

وكان من بين هؤلاء العلماء، الزجاي الجد، الذي نصبه محمد الكبير مدرسًا على مدرسة أبي مدين شعيب الغوث بالمركب العلمي والديني **"العباد"**(4)، وفوض له أمرها كله، فيما يخص تسيير أحباسها وأوقافها، حيث ذكر ذلك حفيده بشيء من الإسهاب، بقوله: "**(...) وتصدى لخدمة العلم الشريف بالتدريس والتصنيف، إلى أن اشتهر به وشاع، وامتلأت به النواحي والبقاع، وكان ذلك على عهد الأمير الباي محمد الكبير، (...)، أولاه بالإكرام وأخذ يبعث إليه في (...)، مدرسة الشيخ أبي مدين بالعباد وولاه أمرها (...)، وأفرده بدرسها وفوض إليه الأمر في مصالحها وحبسها وجعل له ذلك اشتغالا وأجر وعليه (...)، المال خمسين ريالا، واسكن الدار بانيها (...)، فدرس بها برهة من الزمان، (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 9/أ).

غير أن الزجاي الحفيد يشير إلى أن جده على ما يبدو قد انقطع على عمله بمدرسة مركب العباد، إلى ما بعد فتح مدينة وهران، بسبب انشغال الباي محمد الكبير وأهل العلم بفتح هذه المدينة سنة **1195هـ/ 1792م**، في إطار التعبئة الدينية والاجتماعية التي أعدها هذا الباي في سبيل حشد كل أطياف المجتمع الجزائري في عملية الفتح هذه، وهو ما نقرأه بشكل جلي من كلام الزجاي الحفيد، بقوله: "**(...) ووجد الباي قد استرجع وهران (...)، وافتتح حصونها ومعاقدها (...)، ونصب بها سرير السلطنة واسكن الملك منها مجلسه ومسكنه وبلغ بها الإيمان (...)، وتضاعف بفتها السرور وانشرحت الصدور، فأقره على ما كان وأحله من التجلة والتكرمة بمكان فعاد بالمدرسة (...)، بخدمة العلم وانتحاله (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 10/ب).

لقد استمرت هذه العلاقة المرموقة بين الزجاي الجد وبايات بايلك الغرب الجزائري، بعد وفاة الباي محمد الكبير، وبقيت العلاقة تلك، حتى مع الباي مصطفى الذي راسله الزجاي الجد في أمر إرجاع أحباس مدرسة العباد إليها، وهو ما قام به الباي الأخير، عندما راسل قاضي مدينة تلمسان يأمره بالاهتمام بهذه المدرسة، وجعل الزجاي الجد هو من يقوم بتسيير أحباسها، فقال الزجاي الحفيد في هذا الصدد: "**(...) واستمر على ذلك أيام عثمان (...)، وكذلك أيام مصطفى فإنه اتبع سبيلهما في ذلك (...)، أمرها (...)، وكتب له (أي للزجاي) كتاب كتبه له في أحباس المدرسة ونصها بعد الحمدلة محبنا المكرم والعالم العلامة القدوة الفهامة السيد محمد بن عبد الله العبادي حمة الله وسلام عليه ورحمته وبركاته وبعد فقد بلغنا كتابه في شأن أحباس مدرسة الشيخ أبي مدين أدركنا الله برضاه (...)، فكتبنا لمحبنا قاضي تلمسان يرد لها جميع أحباسها المعلومة متلها سابقا في وقت أخي المرحوم السيد محمد باي وأصرفها أنت في مضاربها (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 10/ب). إضافة إلى أنه راسل قائد مدينة تلمسان من الأتراك العثمانيين ليقدم مبالغ

"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، و**"عقود المحاسن"**، و**"الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف الحقيقة"**. ينظر: (سعد الله، 2009، ص 229).

(4)**مركب العباد**: يضم هذا المركب العلمي والديني، منشآت دينية ودنيوية، تعرف بـ: **"مركب العباد"**، الذي يوجد فيه ضريح العالم الولي أبي مدين شعيب الغوث (**ت 594هـ/1193م**)، ومن الجهة الجنوبية بيت الحجيج ودار الوكيل، ومن الجهة الشمالية الغربية دار السلطان، ومن الجهة الشرقية مسجد وجامع العباد. و**"العباد"** من **"الزهاد"** وهي جمع عابد، وينقسم العباد إلى قسمين، السفلي والعلوي ــ **الفوقي** ــ، ويبدو أن العباد السفلي هو الأول من عُمِّر بالسكان، ويمتد من عين وانزوتة غربًا إلى سيدي أبي إسحاق شرقًا، أما العباد الفوقي فلم يعرف تطورًا ملحوظًا إلا بعد تشييد الضريح الذي كان يأوي العالم الفقيه سيدي بومدين. ينظر: (دحماني، 2020، ص 31).

مالية للزجاي الجد تصرف على مستلزمات هذه المدرسة، فقال صاحب المخطوط: "**(...) وقد كتبنا لباشا قايد تلمسان يصلكم عشرين حصيرة لتفرشوها في المدرسة المذكورة والله ينفع الجميع وها نحن بعثنا لك خمسين ريالا بوجه من عندنا فاستعن بها على قضاء مصالحه وندد لنا الدعاء الصالح في كل وقت والسلام عليك وعلى كافة تلامذتك من كاتبها بأمر (...)، السيد الحاج مصطفى باي وفقه الله ولم يزل كذلك (يعني جده(...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 11/أ).

ت)تلامذته:

لقد التف حول الزجاي الجد الكثير من الطلبة والشيوخ والعلماء، من مختلف أرياف وقرى تلمسان، ينهلون منه رحيق العلوم العقلية والنقلية، وذلك ما أفرد له صاحب **"إتمام الوطر"** جانبًا معتبرًا في ترجمة تلامذته وأماكن انتمائهم، فضلاً عن العلوم التي أخذوها عنه، ومؤسساتهم العلمية غير الرسمية التي أسسوها كالزوايا والمعمرات الدينية والعلمية، وفي الموالي ترجمة لثلة منهم على ضوء ما ورد في سطور هذا المخطوط:

أبو عبد الله محمد المختار التلمساني (من علماء القرن 12هـ/18م): أحد شيوخ جد الزجاي الحفيد، والذي كان يمتلك على ما يبدو زاوية علمية، أورد أخبارها بشكل مقتضب في مخطوطته **"إتمام الوطر"**، في معرض حديثه عن شيخ جده وزاويته، بقوله: "**(...) من أولاد سيدي عبد الله كان صاحب ايثار حميدة وزاوية علمية**" (الزجاي، 1867، الورقة 11/أ).

أبو العباس أحمد ابن أبي سيف التلمساني (من علماء أواخر القرن 12هـ/18م وبدايات القرن 13هـ/19):

ذكره صاحب المخطوط أنه كان صاحب زاوية أو معمرة علمية بمدشر **"العين الكبيرة"**[5]، حيث لم يصرح بذكره لمصطلح **"أمبلاصة"**[6] من لغة **"الفرانكا"** ما المقصود منها. ونسب آصرته العلمية والعائلية إلى الشيخ **"أسيف الكبير"** صاحب الزاوية بالميزاب في الجنوب الشرقي الشمالي لإيالة الجزائر، وفي شأن ذلك، قال: "**(...) وأما تلامذته (...)، أشهرهم سيدي الحاج أحمد ابن أبي سيف كانت له ابلاصة بالعين الكبيرة ومحاسن كثيرة، وهو ابن أخ الشيخ أسيف الكبير ذي المفاخر والمآثر وصاحب الزاوية التي كانت بالميزاب (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 12/ب).

وإلى جانب هؤلاء الطلبة العلماء، أضاف الزجاي الحفيد مجموعة من الفقهاء التلمسانيين، كالفقيه السيد العز براويس التلمساني، والفقيه السيد ابن عبد الله بوزوينة التلمساني، والحاج محمد بن

---

[5]**العين الكبيرة**: مدشر كان ولازال تابعا لبلدية فلاوسن، وهذه التسمية أصلها عربي من كلمة كبير نقيض صغير، وسميت كذلك نسبة إلى وجود عين أكبر من الأخرى حسب شهادة سكانها. ينظر: (نجراوي، 2017 – 2018، ص 75).

[6]**أمبلاصة**: هكذا كتبت في المخطوطة، ولا وجود لهذه الكلمة في معاجم اللغة العربية، إذ على ما يبدو أن صاحب المخطوط متأثر باللغة الفرانكية الفرانكا التي كانت سائدة في عصره إلى اليوم، وهي لغة اختلطت معانيها وألفاظها بالحروف والكلمات الفرنسية والإيطالية والإسبانية. و**"ابلاصة"** هو نطق عامي للكلمة بمعنى المكان، ويقصد بها في اللغة الفرنسية **"la place"**، أي المكان. وفي اللغة الإسبانية **"Plaza"** والكلمة بلغة الفرانكا تنطق **"platza"**. ينظر:

(Anonyme, 1830.).

تأشفير الساحلي التلمساني، والحاج محمد بن عمر العابدي التلمساني، والذين يعتبرون من علماء أواخر القرن **12هـ/18م**، وبدايات القرن **13هـ/19م**، حيث درسوا على يد جده، بقوله: "**(...) وأما تلامذته (...)، أشهرهم (...)، ومنهم الفقيه السيد العز براويس من أولاد سيدي فأداه بالمختار (...)، والفقيه السيد ابن عبد الله بوزوينة المذكور العامر والخير الحاج محمد بن تأشفير الساحلي والمكرم الحاج محمد بن عمر العابدي وغيرهم (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 14/ب).

2 2 7. مشيخته:

تتلمذ الزجاي الجد على علماء من داخل تلمسان وخارجها، خاصة بالمغرب الأقصى وحواضره التي ارتحل إليها للاستزادة العلمية، والاستفادة من علمائها، وهو ما ورد في **"إتمام الوطر"**، حيث نجد شيوخ الزجاي الجد من تلمسان الذين درس عليهم في أول مستهل حياته العلمية، بتعلمه القرآن الكريم والقراءات على العالم أمزيان التلمساني **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، إلى جانب العالم أبي عبد الله محمد عبد الرحمن البيدري **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، الذي أخذ عنه الفقه والنحو وعلم البيان، إضافة إلى العالم الكرغلي[7] التلمساني أبي عبد الله محمد القالب الكرغلي **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، والعالم ابن لؤلؤة التلمساني **(من علماء النصف الأول من القرن 13هـ/19م)**، حيث ذكر ذلك كله صاحب المخطوط، بقوله: "**(...) وأما مشائخه فانه لما بلغ سن التمييز شرع في قراءة القرآن العزيز (...)، ثم ارتحل لتلمسان وأخذ بها القراءات عن السيد أمزيان والفقه والنحو والبيان على الشيخ محمد عبد الرحمن البيدري وابن لؤلؤة ومحمد القالب الكرغلي(...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 15/أ).

أما عن تعليمه في حاضرة فاس بالمغرب الأقصى، وهي عادة كل العلماء التلمسانيين وغيرهم في تلك الفترة، ذكر صاحب المخطوط أن جده أخذ عن علماء متميزين بفاس، كالعالم الشيخ بناني، والشيخ التاودي، وابن سودة، والشيخ عبد القادر بوخريص، على ما جاء في **"إتمام الوطر"**، بالقول الصريح: "**(...) ثم ارتحل لفاس (...) فأخذ بها عن الشيخ بناني والشيخ التاودي وبن سودة والشيخ عبد القادر بوخريص (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 16/ب).

وعن تاريخ ارتحال الزجاي الجد إلى حواضر المغرب الأقصى، فيبدو أنه كان متواجدًا هناك قبل سنة **1194هـ/1780م**، وهي تاريخ وفاة عالم من تلمسان المدعو الشيخ أبي محمد عبد الله بن عزوز التلمساني **(ت بعد 1204هـ/ 1780م)**، المدعو: **"سيدي بلة"**، والذي لقيه الزجاي بمراكش وأخذ عنه بعض العقاقير الطبية باعتبار ابن عزوز كان طبيبًا وعالمًا في المعقول، وفي ذلك يقول الزجاي الحفيد: "**(...) ثم ذهب لمراكش ولقي ابن عزوز (...)، الذي ناوله العقاقير (...)، التي أذهبت فيه كل علة (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 17/أ).

---

[7]جمع كرغلي، وهو مصطلح ينقسم إلى قسمين، **كورو**: بمعني عبد، و**أوغلي**: معناه ابن، فيصبح المعنى: ابن عبد. والكرغلي هو من كانت أمه جزائرية وأبوه تركي.

وعن عودته إلى تلمسان، مستقره النهائي على ما يظهر، فقد جعل الزجاي الجد حوز العباد مكان للاستقرار، حيث تزوج هناك وواصل اجتهاداته العلمية، وهو ما ورد في المخطوط، حيث قال صاحبه: "**(...) ثم رجع لتلمسان واستوطن بها العباد خير مكان وتأهل بها وتزوج، وتدرع بالمعارف (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 18/ب).

22 8. الرحلة العلمية الحجازية والتواصل الثقافي عند الشيخ الزجاي الجد:

ساهم الحج بقوة في تعميق الوحدة الثقافية بين مصر وحواضر المغرب العربي، وذلك بتردد كبار العلماء بصفة دورية على الأزهر وغيره من المراكز الثقافية في مصر، وأصبح من تقاليد الحجيج الأساسية الاتصال بالمراكز الثقافية في مصر، وعلى رأسها الأزهر، وقد فضل أغلبهم المجاورة له، حيث قام الكثير منهم خلالها بالدراسة على أيدي علماء الأزهر، وأخذوا منهم الإجازات العلمية والصوفية (عبد المعطي، 2015، ص 224). وظل الأزهر الشريف على ضوء ذلك، يمثل المرجعيّة الدّينية والعلمية لعلماء المغرب الإسلامي عمومًا، والتلمسانيين منهم الّذين قصدوه للمجاورة العلميّة بلا هوادة منذ العصور الوسطى حتى اليوم. خاصة زمن المماليك الذين حكموا مصر ما بين **660هـ/1250م** حتى **927هـ/ 1517م**، إذ أصبحت مصر منذ ذلك الوقت نقطة استقطاب لعلماء البلدان الإسلامية (ابن خلدون، المقدمة، 2007، ص 471)، وهو ما جعل الزجاي الجد يدلو بدلوه هو الآخر في التتلمذ على أهل المشرق عمومًا، أين جعل مصر ومراكزها الثقافية كالأزهر الشريف طريقًا للاستزادة العلمية وللمجاورة بها على ما يبدو، وصولاً لمكة التي جاور بها ثلاث سنوات بعد تأديته شعيرة الحج، وفي شأن ذلك يقول حفيده: "**(...) ثم ارتحل للحجاز وجعل على مصر المجاز فحج (...)، وجاور بمكة ثلاث سنين ثم رجع، وأخذ أيضا عن أهل المشرق وانكب كأنه بدر (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 24/ب).

2 2 9. نتاجه العلمي:

أ)مؤلفاته:

إن مثل هذا العالم، لابد وأنه ترك ثروة علمية قيمة، ضمنتها بعض المصادر التي ترجمت له، والعلماء الذين نقلوا عنه في كتبهم، والذين احتفظوا لنا بأسماء بعضها، ومن أهم مؤلفاته نذكر ما سجله لنا صاحب **"إتمام الوطر"** وهو يُسوِّد الخط في النتاج العلمي والأدبي لجده، الذي كان كثيرًا ومُتنوعًا، واختلفت عناوينه وأحجامه، طبقًا لمجالاته العلمية من علوم نقلية وعقلية، على حد تعبيره: "**(...) وأما مؤلفاته (...)، لا يمكن حصرها (...)، واختلافها من السفير إلى الكراس (...)، وخبره منها (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 19/أ). حيث نورد منها على سبيل المثال لا الحصر، ما هو مذكور في المخطوط، حسب مجال التخصص في الجدول الموالي:

الرقم	المُؤَلَّف	مجال التخصص
01	تفسير الخمسة الأولى	التفسير
02	وكتاب السيرة القاطعة	السيرة النبوية

03	وكتاب المرائي المكية	التصوف
04	أداب الطريق والأذكار والأدعية	التصوف وعلم الحديث
05	شرح الاسماء الحسنى	التفسير
06	الجامع في النحو على ألفية السيوطي	علوم اللغة والنحو
07	الامية في التصريف	علوم اللغة
08	الجامع في النحو على ألفية السيوطي على التسهيل	علوم اللغة
09	شرح النونية	التفسير
10	الرحلة الفاسية	أدب الرحلات والمناقب والتراجم
11	الأحكام الفلكية والأسرار الحرفية	علم الفلك والروحانيات والأعداد
12	الأوبان الحرفية والعددية	علم الحساب والأعداد

ب)مكتبته:

تعرضت مكتبة الزجاي الخاصة به، إلى موجة من المخاطر التي كانت سائدة زمن ثورة درقاوة، وكنا أسلفنا الذكر أن درقاوة قد عملوا بشتى الطرق للإطاحة بهذا العالم، دون الوقوف على الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، ولو أننا نرجح تلك العداوة بين الطرفين في إطار سياسة التكتلات الدينية ضد الأتراك العثمانيين، حيث كان الزجاي الجد على ما هو مُبين في سطور المخطوط، مرتبط جد الارتباط بالسلطة السياسية الحاكمة، ومقرب جدًا من الحكام العثمانيين، وهو ما لم يرق لأنصار درقاوة بتلمسان. كل ذلك جعل النتاج العلمي لهذا العالم في خطر محذق، فلم تسلم خزانته العلمية من هذه الشرارة السياسية والدينية بين الطرفين، إلا ما نقلها الثائر ابن الأحرش إلى **"جبل أترارة"**[8] في مسعى الحفاظ عليها، كونها كانت تضم حسب صاحب المخطوط نفائس الكتب والمجلدات النادرة، والتي كان قد جمعها الزجاي الجد بنفسه واشتراها من ماله الخاص، وفي شأن

(8)**أترارة**: جبال ترارة عبارة عن سلسلة ساحلية في الامتداد الغربي للأطلس التلي، تظهر هذه الكتلة الصخرية كقوس جبلي يربط بين البحر الأبيض المتوسط من الشمال، ووادي التافنة من الشرق، ووادي مويلح من الجنوب، ووادي قيس إلى الغرب الذي يحدد الحدود الجزائرية المغربية، تمثل هذه المساحة كيانًا جغرافيًا تم تحديده جيدًا نظرًا لتضاريسه الوعرة ذو توجه شرق-غرب، والذي يشمل بالكامل شمال ولاية تلمسان، والشمال الغربي من ولاية عين تموشنت، وتمثل منطقة الترارة امتداد الجزائر في الإيالة العثمانية فيما مضى. ينظر: (المدني، 1984، ص 163).

ذلك يقول صاحب **"إتمام الوطر"**: "**(...) كثيرة في التفسير، وغيره بما ذا الذي وقفنا على خبره وعثرنا على اثره ولكن قد ذهب لكثرها في الخزانة التي حملها ابن الأحرش إلى محله بالجبل، ولم يبق منها إلا ما نزر وقل، ثم افترقت بعد افتراق شمله في الأوطان فقلما يخلو منها بلد ولا مكان وقد كانت تلك الخزانة احدى الخزائن الكبرى تحوي على أحمال من المجلدات والأسفار، كان الشيخ رحمه الله قد بذل فيها وسعه واستفرغ في جمعها قوته وطبعه (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 25/أ). أما الجزء الآخر من هذه الخزانة فقد قام بإتلافها أعداء الزجاي الجد وحساده، على حد قول حفيده: "**(...) وبعضها دفنها حساده في الثرى وجرى عليها من مكدهم ما جرى(...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 25/أ).

غير أن الزجاي الحفيد يشير في آخر المطاف، أن جزء كبير من هذه الخزانة قد رجع إلى الزجاي الجد، وهو ما أخذه ابن الأحرش عنده بجبل أترارة، حيث بعد انتهاء ثورة درقاوة بعث له ابن الأحرش تلك الخزانة ليلاً إلى قرية الخميس ببني سنوس أين استلمها منه الزجاي الجد وأعادها إلى مقره بهذا المدشر **مدشر بني سنوس** الذي جعله موضعًا للخُلوَة على ما يبدو، وفي ذلك يقول الزجاي الحفيد، ما نصه: "**(...) إلى أن كشفت فتنة درقاوة وانجلى منها ليل الغي والغباوة (...)، من نكبتها الأتراك (...)، حتى ارتأمت منهم النفوس فخرج فيمن خرج (...)، إلى جبل بني سنوس (...)، وأصبح منفردا عن بنيه وعياله متجردا عن كتبه (...)، وخرج قرية الخميس ووجد ابن الأحرش وهو بجبل ترارة (...)، بعث إلي الخزانة من نقلها إليه ليلا واستوعبها حملا (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 25/أ).

ث)صنعته في النسخ:

وممَّا جاء في **"إتمام الوطر"** أن الزجاي الجد كان من العلماء والشيوخ المتعلقين جدًا بنسخ الكتب والمجلدات، حيث أكد حفيده ذلك مُحليًا إياه بأجمل الأوصاف، تَنِم عن مدى رونق الخط الذي كان يكتب به جده، في قوله: "**(...) وكانت له في النساخة أية خارقة (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 26/ب). زيادة على أنه كان مُتمكنًا في النسخ لدرجة أنه ينسخ ولا يُشوش عليه حتى وهو في المجالس يتحدث مع العامة والخاصة من أهل العلم، حيث قال: "**(...) يكتب وهو يحدث الجليس ولا يخشى الوقوع في التحايل والتلبيس (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 26/ب). مضيفًا على أنه لم يكن يَمَلُّ من هذه الصنعة ولا يضيق صبره، فقال في السياق نفسه: "**(...) لا يكل خاطره ولا يجيش ولا يزيغ (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 26/ب).

2 2 10. وفاته:

توفي الزجاي الجد عن عمر ناهز السبعين سنة بمدشر بني سنوس، إذ قيد حفيده بدقة تاريخ وفاته الذي كان حوالي **1226هـ/1818م**، فقال: "**(...) وتوفي بغرة الثلاثين من هاذه المائة عن نحو سبعين سنة حوالي 1226هـ/ 1818م، ببني سنوس غريبا ودفن هناك**" (الزجاي، 1867، الورقة 26/ب).

2 3. بيت ابن هطال التلمساني:

2 3 1. أصولهم:

يرجع انتماء علماء بيت ابن هطال إلى البلاد التونسية، التي هاجروا منها إلى جبل **"بني ورنيد"** بتلمسان، في فترة زمنية كانوا فيها أصحاب شأن وذوي ثروة، بعدما شهدت علاقتهم مع حاكم تونس توترًا، على ما ذكره صاحب المخطوط، بقوله: **"(...) ويقال أن أصل هذا البيت من تونس، خرجوا منها مغاضبين للسلطان ونزلوا على بني ورنيد من ظاهر تلمسان ثم قصدوها بالاستطان وكانوا يومئذ ذوي صولة ودولة وثروة فلذلك كانوا بها مركز آية الجلال (...)"** (الزجاي، 1867، الورقة 27/أ). وأردف صاحب المخطوط قائلاً عن رِفعتهم الإجتماعية والعلمية في المؤسسات العلمية بتلمسان: **"(...) وكانوا أي الهطاليين أصحاب معالي (...)، وتجاهت بهم الدواوين والمكاتب (...)"** (الزجاي، 1867، الورقة 27/أ). وعن مقر سكناهم بحي باب الجياد فيما بعد بقلب مدينة تلمسان، يقول المؤلف نفسه مشيرًا للعالمين أبي العباس ابن هطال **(ت 1218هـ/1803م)**، وأخاه الحاج السنوسي ابن هطال **(توفي بعد سنة 1218هـ/1803م)**: **"(...)، كانت منازلهم باب الجياد من تلمسان (...)، وعادت معالمها مجاهل (...)، بها نشأ (...)، وبها منبتهما (...)"** (الزجاي، 1867، الورقة 28/ب).

2 3 2. سيرة ومسيرة علمائهم:

أ)أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني (ت 1218هـ/1803م):

إشتهر من علماء بيت ابن هطال العالم أبي العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني **(ت 1218هـ/1803م)**، الذي ترجمت له العديد من المصادر المحلة، على أنه كان على درجة عالية من العلم والأدب، إلى جانب كونه شاعرًا، قاضيًا، حاجًا لبيت الله الحرام، وكاتبًا مُميزًا، اعترف له بذلك العام والخاص في زمنه، وهو ما ذكره صاحب **"إتمام الوطر"**، بقوله: **"ومن هذه الطبقة، (...) الكاتب الشاعر الناظم الناثر (...)، فريد عصره (...)، الأديب القاضي (...)، حاج بيت الله الحرام (...)، علم الأعلام (...)، أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال (...)، وكان إذا كتب استطاب وأتى بالعجب العجاب (...)، واستمام النفوس (...)، وإذا أنشأ وشى ورفض له السامع طربا وانتشى (...)، يعترف له بذلك العالم والجاهل (...)"** (الزجاي، 1867، الورقة 28/ب). وعن صفاته الخُلقِية يضيف المؤلف نفسه: **"(...) كان سريع الغضب (...)، لا يعرف لغضبه سبب (...)، يبالغ في العقوبة (...)، ويجاوز فيها الحد ويخرج فيها عن سبيل القصد (...)"** (الزجاي، 1867، الورقة 28/ب).

تتلمذ عن ابن هطال علماء كُثر، ذكر منهم صاحب **"إتمام الوطر"** علمين اثنين من بيت اليبدري التلمساني، وهما الشيخان: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اليبدري التلمساني (القرن 12هـ/18م)، ونجله سيدي حامد محمد بن عبد الرحمن التلمساني **(من علماء أوائل القرن 13هـ/19م)**، فقال: **"(...) أخذ عن أحمد ابن هطال عبد الرحمن واليبدري ابن حامد وغيرهما من علماء الحاضرة، (...)"**(الزجاي، 1867، الورقة 29/أ).

وقد حاز ابن هطال قصب السبق في اقتناص المناصب الإدارية زمن الباي محمد الكبير الذي قربه إليه وجعله إلى جانب ذراعه اليمنى في إصدار أوامره، رئيسًا لخِطة الكتابة، زيادة على ذلك، كلفه بالاعتناء بمكتبته، وكتابة سيرته، وهو ما حدث فعلاً، لما ألَّف ابن هطال مؤلف في سيرة الباي محمد الكبير قبل سنة **1202هـ/1794م**، تاريخ نسخ هذا المؤلف من قبل العالم أبو

عبد الله محمد بن البشير بن محمد آقراي التلمساني، عنونه بـ: **"رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري"**. وهو ما ذكره الزجاي الحفيد، بقوله: "**(...)، وولى رئاسة الكتابة زمن محمد الكبير (...)، ودعاه إلى حضرته وتربع بمجلسه وخلع عليه خلع الرضى والتقريب وتلقاه بالبشرى والترحيب وأقعده لمكتبته وخصه بكتابة سيرته وجعله مصدر نهيه وأمره (...)**" (ابن هطال، 1969، ص 102).

وتواصلت تلك العلاقة المميزة بين ابن هطال وبايات بايلك الغرب الجزائري حتى مع الباي محمد عثمان، الذي أبقى على تلك المناصب لابن هطال، حيث يقول حفيده: "**(...)، حتى في أيام الباي محمد عثمان (...) ثم بعدها نقل للكتابة وتولى أمر الديوان، (...)، وخصه في سلك الوزراء والأعيان، (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 29/أ).

توفي ابن هطال سنة **1218هـ/1803م**، ولم يترك وراءه من الأبناء إلا البنات، حيث قال في **"إتمام الوطر"** في ذلك، ما نصه: "**(...)، وتوفي سنة 1218هـ/1803م، ولم يخلف إلا البنات (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 29/أ).

ب)الحاج السنوسي ابن هطال التلمساني (توفي بعد سنة 1218هـ/1803م):

إن الحاج السنوسي ابن هطال هو أحد أعلام هذا البيت العلمي، ومن الأعيان التلمسانيين ذوي الثروة والجاه، والذي لم يُترجم له ولا مصدر من المصادر المحلية والأجنبية على ما هو متوفر بأيدينا إلى حد الساعة، إذ أنه لم يكن على ما يظهر على الدرجة العلمية نفسها التي تميز بها أخاه، سوى أنه تقلد منصب الكتابة لدى قائد تلمسان، وفي شأن ذلك جاء في **"إتمام الوطر"**: "**ومن هذه الطبقة أيضا أخ له يقال له الحاج السنوسي وكان اكبر منه سنا (...)، ولا يفيض عنه فنا كان يكتب عن قائد تلمسان (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 30/ب).

إضافة إلى ذلك كان الحاج السنوسي ثريًا يملك ثروة كبيرة، زاغ بها عن طريق الشريعة، ومال بواسطتها إلى المجون والشهوات، بتمضية الوقت في متنزهه بحوز القلعة جنوب تلمسان، والذي خصَّصه للهو لكافة الناس في فصل الخريف والربيع، وهو على حسب تعبير ووصف الزجاي الحفيد لهذا المتنزه، كان عبارة عن ملهى للغناء والمعازف والموسيقى، إذ يقول صاحب المخطوط: "**(...)، وكانت (...)، اللهو والمجون (...)، سار فيها إلى الهول (...)، منهمكا في اللذات (...)، منغمسا في الشهوات (...)، يرصد حبائل المعازف والأغاني (...)، حكى أنه كان له متنزهان بالقلعة من ظاهر تلمسان ربيع وخريف اعدهما للناس كل سنة واتخذهما عادة وشنشنة (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 30/ب).

ويبدو أن الحاج السنوسي، قد فقد ثروته بعد وفاة أخيه أبي العباس الذي كان يتكأ عليه فيما يتعلق بحياته الشخصية، ويعتمد عليه كثيرًا في تسهيل أموره التجارية، ما جعل ذلك صاحب المخطوط لا يخفي الأمر، حيث أكده بصريح العبارة، وهو يقول: "**(...) أما صنوه فكسر جناحه بعد موت أخيه رغم أنه بقيت له مكانة بتلمسان (...)، وذهبت مع الرياح ماله (...)**"(الزجاي، 1867، الورقة 31/أ).

2 4. بيت اليبدري التلمساني:

ترتبط الجذور التاريخية لبيت البيدري إلى غير واحدة من بِطانَات الانتماء، كان أولها **"المناوي"** الّذي التصقَ بهم التصاق نسبٍ غَائِرٍ في الزمان، والذي يعود إلى إسم وادي **"مينا"** المتدفِّق من الجبل الأخضر شرق **"فرندة"** (ابن خلدون، العبر، ج7، 2000، ص: 44). والثاني **"البيدري"** نسبة لمدشر **"وادي يبدر"** الواقع بالجنوب الشرقي من تلمسان، مُستقر جدهم الأوّل. و**"ابن الحاج"** الّذي هو وُصْلتهم الشريفة من عرش أولاد الحاج **"العمرانيون"** المعروفون بـ: **"السقفيون الشهديون"**، أحد فروع أولاد إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن سعيد بن علي بن عبد الرحمن بن داوود بن عمران بن عبد الرحمن بن علي بن اسحاق بن أحمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن الحسن بن عبد الله الكامل ابن الإمام إدريس (الهاشمي، 2013، ص 156).

أما عن مؤسس بيتهم العلمي عند من أرَّخ لهم بالخطِّ على أساس المعايشة والمشاهدة لسادتهم العلماء، وبالأخص فيما جاء في مِسودات وُرَيقات طليعة تلامذتهم المؤرِّخين الّذين أدرجوهم مع نظرائهم من علماء وقتهم، كأبي راس الناصري (ت 1238هـ/ 1823م)، الّذي ذكر في ثنايا رحلته العلمية الموسومة بـ: **"فتح الإله..."**، للكثير من خِصالهم العلمية، مبتدئا بجدهم الأول، فقال أنَّ: "**(...) الشيخ أحمد ابن الحاج المناوي (...)**"(الناصري، 1989، ص 108)، وهو إبن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي، هو مؤسِّس هذا البيت العلمي التلمساني.

تصدى أحمد ابن الحاج المناوي للتدريس في تلمسان، فتخرج عليه جماعة من علماء أسرته، كابن أخته الحاج بن سعيد، ومن أعلام هذه العِتْرَة الأسريّة نذكر: أبو عبد الله محمد الحاج المناوي (ت 955هـ/1548م)، المتصدى هو الآخر للتّدريس بتلمسان، فنهل من علمه أناس كثيرون، وأبي عبد الله محمد أمقران بن أبي عبد الله بن الحاج، وأخوه حدو بن الحاج (**ت998هـ/1589م**)، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البيدري التلمساني (القرن 12هـ/18م) (الناصري، 1989، ص 108). وإلى جانب هؤلاء العلماء البيدريين، يضيف صاحب مخطوط **"إتمام الوطر"** عالم آخر من هذه الأسرة العلمية، توفي في أوائل ثلاثينيات القرن **13هـ/19م**، على ما سنورده في الآتي من خلال المخطوط.

أ)أبو عبد الله محمد بن سعد البيدري التلمساني (ت 1232هـ/1824م):

وردت ترجمة هذا العالم عند الزجاي الحفيد دون غيره من المصادر، لينفرد مخطوط **"إتمام الوطر"** بهذه الشخصية العلمية البيدرية، التي سلكت طريق سلفها من علماء هذا البيت العلمي في حيازة المناصب العلمية والدينية بتلمسان وخارجها بموطن هجرتهم بفاس، إلى جانب ارتحاله إلى المشرق على مرتين لتأدية فريضة الحج، وفي طريقه في إحدى هذه الحجات، أقام مدة في مصر، أين تتلمذ على يد الشيخ المرتضى الذي أخذ عنه الإجازة الصوفية في الطريقة الخَلْوَتية وغيرها، حتى غاية وفاته بالصعيد سنة **1232هـ/ 1824م**، بالبلاد المصرية، بقوله: "**(...) وكان أبوه فقيها عالما وقاضيا عادلا (...)، وهو أبو محمد ابن الحاج (...)، كان بتلمسان (...)، ثم خرج لفاس للأخذ عن مشايخها (...)، ثم رجع وأكمل التدريس بجامعها الأعظم، (...)، وكان له القضاء (...)، وحج حجتين (...)، وفي طريقه دخل إلى مصر المحروسة فأقام بها بعض الأمد، وهناك التقى بالشيخ المرتضى الذي أخذ عنه الطريقة الخلوتية ولقنه أورادها السنية واستجازه**

فيها وفي غيرها (...)، ثم عاد لتلمسان وحج للمرة الثانية سنة 1231هـ/1823م، ومات في رجوعه بالصعيد سنة 1232هـ/1824م» (الزجاي، 1867، الورقة 41/أ).

ب)أبو عبد الله محمد بن الشيخ المناوي ابن سعيد التلمساني (ت 1264هـ/1847م):

كانت عادة شيوخ تلمسان خلال العصر الحديث كما سبقت الإشارة إليه، هي السفر إلى حاضرة فاس للاستزادة من العلم وحقوله، وبمثل والده السابق الذكر تمامًا، رحل ابن سعد اليبدري إلى المغرب الأقصى في رِحلاتٍ متكرّرة ومتعاقبة، بعضها لدوافع علمية، وبعضها الآخر كان وراء سياسة التقييد الّتي مارسها الأتراك على العلماء في تلمسان، وتداعياته على التعقّن الّذي أصاب أجهزتها القضائية، لما جاء ذلك على لسان **"الكتاني"**، وهو يقول في هذا الصدد: «**ومنهم شيخ بعض شيوخنا الشريف الجليل، عالم تلمسان وقاضيها، المرجوع إليه في دقائق العلوم، (...) البركة الهمام، ابن سعيد التلمساني (...)، ولى القضاء في تلمسان في مدة الأتراك، ثم هرب منها لما رأى جريان الأحكام الشرعية مجرى القانون العقلي (...)**» (الكتاني، 2004، ص 97). وهي الشهادة نفسها التي أدلى بها صاحب "إتمام الوطر"، بقوله: "**(...) ثم ذهب للمغرب الأقصى نهائيا بسبب الأحباس التي لم توزع بالعدل وعلى عادة القدم في المسجد الكبير بتلمسان (...)، وكان ذلك أيام دولة علي الشريف (...)، لما انقرضت أيام الترك (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 41/أ).

ونظرًا لمكانة هذا العالم بالمغرب الأقصى ومخزنه، حمل بيت اليبدري اسمه بصفة رسمية فيما بعد، فأصبحوا يعرفون بأولاد **"ابن سعيد"**، عند أصحاب التراجم من العلماء، أمثال الشيخ عبد الحفيظ الفاسي، الّذي هم عنده بالنَّص يُنعتُون بـ: "**بيت أولاد ابن سعد (...)**» (الفاسي، ج2، 2003، ص 53)، وأنَّ بيتهم كان بـ: "**(...) تلمسان بيتا عظيما علما، ومجدا، وثروة، تعدد فيهم العلماء والفضلاء آخرهم (...)، العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن سعد الشهير**» (الفاسي، ج2، 2003، ص 53)، وبأنَّ مرجع نسبهم يعود إلى: "**(...) أبو العباس أحمد بن الحاج اليبدري التلمساني**» (الفاسي، ج2، 2003، ص 53). وذلك ما جاء عند الزجاي الحفيد الذي أكد أنه من بيت علم وشأن كبيرين، بقوله: "**ومنها محمد ابن سعد (...)، شيخ التدريس (...)، من بيت علم وولاية (...)، كان رفيع القدر والهمة (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 41/أ).

هذا ولما تولى الشيخ محمد ابن سعيد القضاء في تلمسان للعثمانيين، تزامن ذلك مع فتنة قرية **"ولهاصة"** في خريف سنة **1236هـ/ 1828م**، التي ورّطته سياسيًا مع الأتراك، لما نصر سكان تلك المنطقة على حساب الإدارة العثمانية وهو في مهمة الصلح بينهما، ما جعل منه المستهدف الأول عند الساسة الحكام، فهاجر بسبب ذلك إلى المغرب الأقصى مع عدم انقطاعه عن تلمسان، حيث ظل يتردّد عليها وعلى مدينة تازة تبعًا للظّروف الطارئة على مدينته الّتي غادرها مرة ثانية إلى فاس، بعد حملة الجنرال **"كلوزيل"** الفرنسي على تلمسان سنة **1251هـ/1836م**، تاركًا بها جميع كتبه وماله، على ما ذكره الزجاي، بقوله: "**(...) ثم عاد لتلمسان أيام عبد لقادر ثم استوطن تازة (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 44/ب).

ولمَّا رجعت تلمسان لحكم دولة **"الأمير عبد القادر"** بعد معاهدة التافنة، تاقت نفسه إلى العودة إليها مع أسرته، واستأذن السلطان **"عبد الرحمن"**، فأذن له مكاتبة في رسالة مؤرخة في **14**

ربيع الثاني من عام **1256هـ/ 1840م**، هذا بعض ما ورد فيها: "**الفقيه القاضي السيد محمد سعد (...)، وصلنا كتابك مخبرا بأن الله لما حقق الرجاء (...)، وبلغت الأمنية بهناء الوطن وأمنه (...)، تاقت نفسك للرجوع إليه، والقدوم بالأولاد والحشم عليه، لما جبلت عليه النفس من حب الأوطان (...)، وقد أذنا لك في التوجه إلى بلدك بأهلك وولدك، فتأهب لذلك وأعلمنا والسلام**» (الكتاني، ج3، 2004، ص 97).

ولم يطل سعد مقامه في تلمسان مجددا، حيث اضطر إلى مغادرتها مرة أخرى بعد غزوها من طرف المريشال "**بوجو**" في سنة **1250هـ/ 1842م**، إلى فاس ثم تازة، وبقي بهذه الأخيرة يُدرّس ويُفتي، وقُلّد الخطابة والإمامة مدّة بجامعها الأعظم.

وفي سنة **1262هـ/1845م**، رجع إلى فاس الّتي كان له بها مجالس حفيلة، وأخذ عنه جمّ غفير بها، ودرسوا عليه الألفية والفقه. ومن مؤلفات سعد "**شرح على الشمقمقية**" (الكتاني، ج3، 2004، ص 97)، المعروفة بالأرجوزة القافية في الفخر، والغزل، والمديح، والحكم، والوصايا، لصاحبها إبن الونان المغربي (**ت 1187هـ/1773م**) (الكتاني، ج3، 2004، ص 97).

توفي سعد التلمساني عشية يوم الخميس 27 محرم سنة 1264 هـ/1865م، ودفن في الغد، بعدما صلي عليه بجامع الأندلس داخل قبة الشيخ ابن حرزهم (الكتاني، ج3، 2004، ص 97).

2 5.بيت المجاوي التلمساني:

سجل صاحب "**إتمام الوطر**" معلومات في غاية الأهمية تخص أصول هذا البيت العلمي، حينما أفرد الكلام بذكر انتمائهم لجبل "أترارة"، هذه المنطقة التاريخية الواقعة شمال تلمسان بمحاذاة الساحل، قد تخرجت منها الكثير من طلبة العلم الأفذاذ الذين لا يمكن حصرهم، واحتضنت نشاط علمي مكثف طيلة الفترة الحديثة بتلمسان، كان منهم أعلام بيت المجاوي، من قبيلة "**مجاو**" البربرية التي أشار لها صاحب المخطوط وهو يسرد نسب هذا المنشأ العلمي، بقوله: "**(...) والمجاوي نسبة إلى قبيلة من جبل ترارة يقال لها مجاو وأنه كان منها وانتقل والده إلى تلمسان واستوطنها (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 45/أ). وأضاف النسابة "**علي حشلاف**" في "**سلسلة الأصول**"، أن بيت المجاوي التلمساني، بيت علم وشرف، ينتمي إلى الشرفاء الحموديون، الذين منهم "**أولاد أبو زكرياء يحيى بن عمران**" من "**آل الكتاني**" الذين فروا إلى زواوة ثم رجع أحفاده لمكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى، ثم انتقلوا إلى فاس أواسط القرن **10هـ/16م**. (حشلاف، 1929، ص 54).

أ)أبو محمد عبد الله المجاوي التلمساني (من علماء القرن 12هـ/18م):

ومن بين الرموز العلمية لهذه الأسرة العلمية، التي لم يتكلم عليها الزجاي الحفيد كثيرًا، واكتفى فقط بذكر نشاطها العلمي البارز، المتمثل في تلاوة القرآن، وتعليمه للنشئ بتلمسان إبان القرن 12هـ/18م، على ما يظهر، العالم أبو محمد عبد الله المجاوي التلمساني **(من علماء القرن 12هـ/18م)**، الذي قال فيه وهو بصدد ترجمة أبنائه: "**(...) وكان أبوهما المذكور شيخا بتلمسان ومن حملة القرآن**" (الزجاي، 1867، الورقة 45/أ).

ب)أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي التلمساني (ت 1262هـ/1854م):

ولعل من بين العلماء المشار إليهم من هذه العائلة العلمية في مختلف المصادر المغربية، الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي التلمساني **(ت 1262هـ/1854م)**، الذي كانت أخباره عند صاحب **"إتمام الوطر"** كلها تجمع على أنه كان على قدر كبير من العلم، خاصة منه ما يرتبط بالعلوم الفقهية، كونه كان قاضيًا بتلمسان، وأحد فقهائها المتميزين في ميادين تحقيق وملازمة **"مختصر الشيخ خليل"**، إلى جانب اهتمامه بعلوم اللغة، وسرعة إجابته لطالب السؤال، بقول صاحب المخطوط: «**الشيخ الفقيه العالم القاضي النزيه، (...)، المنفرد بالتحفيز والتدقيق للمختصر، (...)، قاموس العلوم وكشاف المشكلات حائز قصب السبق في ميدان الفصاحة والبلاغة (...)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي (...)، سريع الجواب (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 45/أ).

وكان أبي عبد الله عالم عزيز النفس على ما أردفه صاحب المخطوط وهو يشير إلى ارتحاله لفاس في المرة الأولى التي كانت اضطرارية على ما يظهر، ليعود بعدها لتلمسان ويتصدر للتدريس وممارسة خِطتي الفتوى والقضاء مدة خمسة وعشرون سنة، اللتان تداولهما مع العالم ابن سعد اليبدري **السابق ترجمته** حتى بلغ بهما ذلك حد التنافس الذي وَلَّد البغضاء بينهما، على ما جاء عند الزجاي الحفيد في الموالي: «**(...) عزيز النفس (...) رحل لفاس ولما عاد تصدر للتدريس بالجامع الكبير (...)، ثم الفتيا والقضاء (...)، لأنه أحب لرياسة (...)، وتداولها مع ابن سعد بتداول الأيام (...)، وتنافسا فيها حتى انقلع بينهما حبل الوداد (...)، واشتد البغض بينهما (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 46/ب).مضيفًا الكلام عن صِفاته الخَلقِية، قائلاً:«**(...) كان رجلا طويلا أسمر اللون خفيف اللحية ضخما أشيب (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 46/ب).

وعن الرحلة الثانية لأبي عبد الله المجاوي للمغرب الأقصى، ذكر صاحب المخطوط أن السبب من ارتحاله هذه المرة، هو وفاة عالم تلمسان ابن الفخار، حيث ورد على المغرب الأقصى زمن السلطان عبد الرحمن العلوي، هذا الأخير الذي أكرمه ونصبه قاضيًا على فاس، إلى أن نصبه من جديد بقضاء مدينة طنجة بعد تشاجره مع قاضي فاس، إلى أن توفي بطنجة سنة **1262هـ/1854م**، عن عمر راوح السبعين سنة، لما قال في **"إتمام الوتر"**، ما يلي: «**(...) ولما مات الفخار ارتحل المجاوي الى المغرب الأقصى مهاجرا زمن المولى عبد الرحمن، فأكرم منزلته (...)، سرعان مع تشاجر مع قاضي البلد (...)، فأخرجه قاضيا إلى طنجة (...)، حتى توفي بها سنة 1262هـ/1854م، وعمره 70 سنة، وأعقب أولادا بالمغرب (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 46/ب).

ت)أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن أبي حناش بن حميش بن علي بن محمد بن عبد الجليل المجاوي التلمساني (ت 1259هـ/1851م):

كان لهذا البيت العلمي أيضًا، عالم أكبر سنًا من العالم السابق الذكر، ويزيد عنه في التبريز العلمي والفكري، توفي قبله بثلاث سنوات على ما يظهر، وسافر هو الآخر إلى فاس وتتلمذ على يد شيوخ أخيه، إلى أن رجع لتلمسان التي ولد فيها، واشتغل فيها بالتدريس والقضاء في الجامع الكبير مدة طويلة، إلى أن توفي بها، من خلال ما جاء في **"إتمام الوطر"**، في الموالي: «**(...) وكان له أخ أكبر منه سنا وأكمل منه حسا ومعنى، وسافر لفاس أيضا واعتكف بها وشارك أخاه**

السابق مشايخه (...)، ثم رجع إلى تلمسان (...)، وكانت له بالجامع الكبير حلقة فاشتغل بالتدريس يسير عمره وادنى منها في القضاء (...)، توفي بتلمسان وبها ولد (...)» (الزجاي، 1867، الورقة 46/ب).

3.الإسهامات العلمية لعلماء تلمسان الوارد ذكرهم في المخطوط:

3 1. أبو عبد الله محمد بن أبي مدين الفخار التلمساني (ت 1250هـ/1842م):

واصل الزجاي الحفيد ذكر علماء تلمسان وبيوتاتهم العلمية، ليبسط القلم هذه المرة على العالم أبي عبد الله محمد بن أبي مدين الفخار التلمساني، الذي ينتمي لـ: «**بيت ابن الفخار**»المنسوب على ما يظهر لعالم الأندلس أبا عبد الله حَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ خَلَفٍ الفخار الأَنْدَلُسِيُّ المالكي **(ت 590هـ/1182م)**، فهم بذلك من مدينة مالقة الأندلسية، حيث قال في **"إتمام الوطر"** عن نِسَبِ والده أبي مدين الفخار التلمساني **(من علماء أواخر القرن 12هـ/18م)**: «**(...) وكان والده من قراء القرآن وأصله من الأندلس ثم أوطنوا تلمسان (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 47/أ).

هذا، وقد وصفه الزجاي الحفيد بالتمكن والتبريز في العلوم العقلية والنقلية، وبحسن الخلق، والتمسك بالسنة النبوية، بقوله: «**حامل المعقول والمنقول (...)، كان متباعدا عن جالس اللهو (...)، حريصا على متابعة السنة شديدا على أهل المخالفة والظنة (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 47/أ). ليكمل الحديث عن مكانته في مجالس التدريس التي كان من نخبتها، ومنزلته في المساجد التي اشتهر فيها بتجويد القرآن الكريم، حيث قال: «**(...) كان من متصدري المجالس وأئمة المساجد والمدارس ومجود المحاريب والمنابر (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 47/أ).

ولد ابن الفخار بتلمسان أواخر القرن 12هـ/18م، وتربي فيها تربية علمية، ونشأ فيها تنشئةً فقهية ودينية، على ما نُورِد نصه من المخطوط، في الموالي: «**(...) ولد بتلمسان آخر المائة الثامنة ونشأ بها وتفقه فيها (...)**»(الزجاي، 1867، الورقة 48/ب).

ولقد كانت للتداعيات السياسية والاجتماعية العميقة لثورة درقاوة على أهل العلم بتلمسان، أن ترك ابن الفخار هو الآخر موطنه، على غرار العديد من علماء تلمسان خلال هذه الفترة، واللجوء إلى المغرب الأقصى لطلب الأمان من السلطان المغربي سليمان العلوي على ما يبدو، ليغتنم ابن الفخار فرصة هجرته هذه بالتتلمذ هناك بحاضرة فاس على يد علمائها، الذين أخذ عنهم الفقه كـ: **"المختصر"** الذي درس نصفه على العالم الزروالي، فقال الزجاي في هذا المقام: «**(...) ثم ارتحل فاس وتفقه بها على يد السيد الزروالي وكان ذلك بعد فتنة ابن الشريف وعلى عهد السلطان سليمان الشريف، فأخذ عن الزروالي نصف المختصر (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب).

يبدو أن سنة **1250هـ/1842م**، كانت سنة شهدت خلالها تلمسان فقدان الكثير من العلماء الذين كان من بينهم الشيخ أمزيان **الآتية ترجمته** وابن الفخار، حيث ذكر ذلك صاحب المخطوط بعدما سطر القلم في الحديث عن رجوع ابن الفخار لتلمسان من حاضرة فاس، وتدريسه للمختصر والألفية بالجامع الأعظم، إلى جانب توليه خِطة الخطابة بالمسجد نفسه، وتقلده لتلك المناصب بجامع سيدي أبي مدين بالعباد، ليختم ترجمته لهذا العالم بالتطرق لمَأتَمِهِ وجنازته التي حضرها علماء وشيوخ تلمسان، إلى غاية دفنه بمقابر العباد في السنة المذكورة، بقوله: «**(...)، ثم عاد**

لتلمسان ودرس منها بالجامع الأعظم المختصر والألفية وكان مع المجاوي وابن سعد (...)، وتولى الخطابة برهة بالجامع الأعظم (...)، وتولى مثلها أيضا بالجامع سيدي أبي مدين (...)، ولم يزل كذلك حتى توفي سنة 1250هـ/1842م، ودفن بالعباد، (...)، وحضر جنازته أولياء تلمسان وتباكوا لموته (...)» (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب).

3 2. أبو علي محمد بن مزيان التلمساني (ت 1250هـ/1842م):

ومن العلماء الذين تَرجم لهم صاحب المخطوط الشيخ أبي علي محمد بن مزيان التلمساني **(ت 1250هـ/1842م)**، الذي جمع بين العلوم العقلية والنقلية، وتمكن في علم الهيئة **"الفلك"** والتوحيد **"العقائد"**، وفي ذلك قال الزجاي الحفيد: «**الشيخ أمزيان (...)، أحد العلماء الأعيان الذين انتحلوا الهيئة والتوحيد (...)، هو أبو علي محمد بن مزيان (...)**» (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب). وتطرق كذلك صاحب المخطوط إلى ارتحاله لفاس وعودته لتلمسان التي درس بها في الجامع الكبير، ناهيك عن دخوله في أخذ ورد مع الحكام الأتراك ببايلك الغرب، في قضية توليته لخِطة القضاء، سواءً في قلب المدينة بتلمسان التي لم يقلد بها هذا المنصب، أم بندرومة التي نصب بها كقاضي إلى غاية رجوعه لتلمسان وقتله من قبل الإحتلال الفرنسي سنة **1250هـ/1842م**، عقب المحاولات المتكررة والأخيرة لإحتلال مدينة تلمسان من قبل الفرنسيين، حيث جاء ذلك في **"إتمام الوتر"**، بالقول: «**(...)، دخل تلمسان ثم ارتحل لفاس (...)، ثم رجع لتلمسان ونوى بها الاستيطان ودرس بالجامع الكبير (...)، ثم لازم القضاء (...)، بعدما امل الداي باي وهران ان يسرع في تقليده قضاء تلمسان (...)، لكنه لم ينصب بها بل نصب بندرومة، (...)، ثم رجل لتلمسان ولم يقلد منصبه ذاك حتى قتل أيام دخول الفرنسيين لتلمسان سنة 1250هـ/1842م**» (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب).

3 3. أبو عبد الله الحاج الداودي التلمساني (ت 1271هـ/1863م):

إن العالم أبي عبد الله الداودي واحد من الأعلام الشرفاء المعروفون في حاضرة فاس بـ: **"الشرفاء الداوديون"**، ومِمَّن ترجم لهم في الكثير من المصادر المغربية، خاصة المهتمة بالسير والأنساب، وهو ما أكده النسابة **"الشيباني"** في مؤلفه **"مصابيح البشرية"**، عندما ذكر أن الحاج الداودي هو أول من ورد على فاس، ولما توفي ترك ثلاث أولاد، انحدرت من بِطانتهم الأسرية جملة من العلماء التي امتهنت التدريس والقضاء، فقال: «**أول من ورد على فاس من الداوديين هو العالم سيدي الحاج الداودي التلمساني، (...) ولما توفي الداودي ترك ثلاثة أبناء. وهم: سيدي حميد، وسيدي الحسن، وسيدي بناصر، فسيدي حميد، مات على غير عقب، وسيدي الحسن كان عالما وأديبا شاعرا، ويشتغل قاضيا بفاس، وترك أبناء، وهم: سيدي الحسن، وسيدي محمد وسيدي عبد الكامل ، وسيدي مصطفى، وأما سيدي بناصر، أخ القاضي سيدي الحسن، فقد افنى معظم حياته في التدريس، وكان يشتغل إماما بمسجد المدينة الجديدة بفاس، وابناؤه، هم: سيدي الحبيب، وسيدي عبد العلي، وسيدي عبد اللطيف**» (الشيباني، 1987، ص 110). إذ لم يكن وحده **"الشيباني"** من تكلم عن أصولهم الشريفة، أو نشاطاتهم العلمية في فاس، لما أفرد لهم عبد الكبير الكتاني **(ت 1350هـ/ 1950م)**، في **"زهرة الآس"** جانبًا معتبرًا من التعريف والترجمة لخِصالهم العلمية وسِيرتهم الفقهية بالحاضرة المذكورة، حيث

قال: "**(...) قلت وبعد استيطانهم مدينة فاس، كانت لهم أخلاق طيبة، وبعضهم دارهم دار علم وفقه وديانة وخيارة ومروؤة وهمة عالية ونجدة وأحوال سنية وسريرة محمودة، وممن ورد من هذه القبيلة، الفقيه الأجل، العالم البركة الأفضل، سيدي الداودي ابن الأجل سيدي العريبي بن الحاج التلمساني (...)**" (الكتاني، زهرة الآس...، 2002، ص 36).

ويعتبر الكتاني من بين المصادر القليلة التي أشارت للتاريخ الأول لتواجد الحاج الداودي بالمغرب الأقصى، عندما تكلم عن شرائه لمنزل بفاس بتاريخ شعبان من عام **1263هـ/1855م**، الذي يمكن اعتباره كأول تاريخ لظهور الحاج الداودي في هذه الحاضرة، فيقول في شأن ذلك صاحب **"زهرة الآس"**: "**(...) ووقفت على رسم شرائه لمثقال الدار الكائنة بسويقة "ابن صافي" عدد 25، بتاريخ شعبان عام 1263هـ/1855م، (...) بشهادة العدلين المبرزين سيدي محمد بن علال ابن سودة المري ومحمد بن عبد الخالق ابن سليمان الغرناطي، (...)**" (الكتاني، زهرة الآس...، 2002، ص 45). لينهي الحديث عنه بتقييد تاريخ ومكان وفاته وموضع مدفنه، بقوله: "**(...) وتوفي ليلة السبت رابع وعشرين محرم الحرام فاتح عام 1271هـ/1863م، وأقبر بضريح الولي الأشهر سيدي أحمد بن ناصر الدرعي المقدادي، بوطا فرقاشة، من حومة العيون**" (الكتاني، زهرة الآس..، 2002، ص 47).

علمًا أن ما ورد في المصدرين السابقين عن الحاج الداودي التلمساني، قد أضاف له الزجاي الحفيد في **"إتمام الوطر"** جانبًا آخر من سِيرته ومَسيرته العلمية منذ تواجده بتلمسان التي دَرَّس في جامعها الكبير، ومارس فيها خِطتي القضاء والخطابة **لما نعته بصاحب الخطتين** ـ، وتطرق عِلاوة على ذلك للتواصل الثقافي الذي أَصَّلَ له الحاج الداودي بعد ارتحاله إلى المشرق على مرتين **لما نعته بصاحب الرحلتين** لتأدية فريضة الحج ومناسك العمرة، مُرورًا بمصر التي جاور بها كمدرس في الأزهر الشريف على ما يبدو، وتتلمذ فيها على الشيخ الدسوقي، فقال: "**الحاج الداودي صاحب الرحلتين والخطتين (...) أبو عبد الله الحاج الداودي (...)، أصله من يبدر من ولد أحمد بن الحاج ثم أوى إلى تلمسان، (...)، وارتحل للمشرق وحج واعتمر (...)، وفي طريقه مر على مصر مجاورا وأخذ عن فقهائها كالدسوقي (...) درس بالجامع الأعظم (...)، ثم مارس القضاء وغيره (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 49/أ).

وقد أدى الاحتلال الفرنسي لتلمسان مع أواخر خمسينيات القرن **13هـ/19م**، إلى هجرة عدد ليس بالقليل من علماء هذه المدينة صوب المغرب الأقصى على ما أسلفناه بالذكر، أمثال الحاج الداودي الذي كان أول عالم يفيد المغرب الأقصى ومراكزه الثقافية بـ: **"حاشيته البيانية"**، زيادة على تقلده منصب التدريس بجامع القرويين بفاس التي جاور فيها بروضة مولاي ادريس، ولَقَّن فيها علم التفسير، وفي ذلك يقول الزجاي: "**(...) وهو أول من أدخل حاشيته البيانية إلى المغرب (...)، ولما دخلت فرنسا هاجر للمغرب بفاس (...)، مجاورا لروضة ادريس (...)، ودرس بالقرويين التفسير**"(الزجاي، 1867، الورقة 50/ب).

أهم نتائج الدراسة:

بناءًا على هذا العرض التاريخي التقييمي الموسوم بـ: "**مخطوط "إتمام الوطر" مصدر من مصادر التأريخ للحركة العلمية في تلمسان أواخر العهد العثماني**". والقراءة الاستنتاجية المتأنية لمُؤلف الزجاي الحفيد، تمكنا من الوقوف على مجموعة من النتائج. نسجلها فيما يلي:

تندرج مخطوطة **"إتمام الوطر"** ضِمن الإنتاج الثقافي المنضوي انضواءً رسميًا في استريوغرافية المدرسة الاستعمارية في مرحلتها الأولى، التي ركزت على اجتهادات النخبة المحلية من العلماء والشيوخ والأساتيذ، الذين انخرطوا في سلك الإدارة الاستعمارية كموظفين ساميين تحت لقب: **"الخوجة"** الذي استثمره صناع القرار من الفرنسيين العسكريين والمدنيين، لتسهيل مهمة الحصول على المعلومات التاريخية والأثرية المتعلقة بتاريخ مدن وبوادي ومداشر الجزائر خلال مختلف العصور التاريخية.

كشفت لنا مخطوطة **"إتمام الوطر"** عن جملة من المظاهر الثقافية الخاصة بنخبة تلمسان في فترة زمنية هامة من تاريخ تلمسان العثماني، قيد أخبارها العلمية صاحب المخطوط "الزجاي الحفيد" بشكل تاريخي مُركّز، أضاف من خلالها إضافة مُميزة فيما يخص التاريخ الدقيق والمُتَخصِّص لعلماء وأعيان وبيوتات علمية تلمسانية، لم تُذكَر الكثير من أخبارها في بقية المصادر المعاصرة، لينفرد هذا الوعاء المعلوماتي بنسبة: **80%** من المعلومات التي دونها على بقية المصادر التي أرخت لبعض الأعلام الواردة في المخطوط.

أبانت سطور مخطوطة **"إتمام الوطر"** عن نوعية العلوم الملقنة في تلمسان أواخر العهد العثماني، في مناهجها وأساليبها واختصاصات شيوخها من أهل صَفوَة الصَّفوَة بتلمسان، ناهيك عن مدى إسهامات علمائها بنتاجهم الفكري، المتمثل في مؤلفاتهم التي أفادوا بها إفادة كبيرة حواضر المغرب الأقصى، بعدما كانت رِحلتهم لتلك المراكز الثقافية اضطرارية لا اختيارية في الكثير من الأحيان. حيث أظهرت لنا محتويات المخطوطة، الكثير من العلاقات الفكرية والعلمية التي رسمت أواصر التواصل الثقافي بين تلمسان والحواضر المشرقية والمغربية، كتحصيل حاصل للنشاط العلمي الغزير الذي كان سائدًا في تلمسان أواخر العهد العثماني، حيث أحالت لنا هذه التفاعلات الثقافية، من وإلى تلمسان، حقائق تاريخية، نسجل من خلالها انتشار علوم تلمسان الراقية في تلك المراكز العلمية من ناحية، ونؤرخ من جهة أخرى للتلاقح الفكري الذي لم يغفله صاحب المخطوط وهو يسرد ما اعتاد عليه علماء تلمسان من ركوب مشاق الترحال للاستزادة العلمية.

أضافت هذه المخطوطة أوراق تأريخية ذات نوعية، تخص إجتهادات العالم **"الزجاي الجد"**، ومختلف أنشطته العلمية والدينية بالمؤسسات الثقافية الرسمية بتلمسان، زيادة على ذلك، كادت هذه المخطوطة أن تتخصص في ترجمة كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا العلم التلمساني، لما أفرد له حفيده كلامًا كثيرًا لم تضاهيه تقريبًا كل المعلومات التي تضمنتها تراجم بقية العلماء والبيوتات العلمية الواردة في المخطوطة واسهاماته العلمية الرسمية وغير الرسمية بتلمسان.

قدمت لنا هذه المخطوطة معلومات تاريخية هامة عن مختلف الأدوار العلمية لأفراد وبيوتات علمية غمرها الزمان في تلمسان، تنتمي بعضها لأماكن طبونيمية موجودة في قلب المدينة المذكورة، كـ: **"حي باب الجياد"**، و**"حي العباد"**، و**"حي القلعة"**...، وغيرها من الأحياء

التلمسانية التي شهدت حركة علمية كثيفة خلال العهد العثماني، بالاضافة لأماكن طبونيمية ورد الحديث عنها في ثنايا المخطوطة لعلماء ينتمون لمداشر تلمسان. ومختلف البوادي والقرى التي اشتهر الكثير منها بباعه الكبير في إثراء الحياة العلمية بتلمسان على مر العصور، حيث أصبحت بفضل التراكمات التاريخية منذ العصور الوسطى وإلى غاية رديفتها الحديثة، تُعد بحق أحد المراكز الثقافية بهذه المدينة زمن العثمانيين، ما جعل هذه المخطوطة تنفرد بالصدارة المعرفية والمنهجية في مقام التأريخ للأوضاع الثقافية بتلك الطوبونيميات الثقافية الملامسة لساحل البحر الأبيض المتوسط بتلمسان، كـ: **"العين الكبيرة"**، و**"بني سنوس"**، و**"ندرومة"**، و**"جبال أترارة"**، وغيرها.

إن تناول مجمل المواضيع الثقافية الواردة في المادة المصدرية للمخطوطات التاريخية، على شاكلة مخطوطة **"إتمام الوطر"**، مكننا من الإطلاع على بعض معاناة علماء تلمسان في إعداد إنتاجهم العلمي والثقافي وصناعته، من الكتب، والمؤلفات، والمجلدات، وتحقيقها وتصنيفها، ومحاولاتهم الدؤوبة في الحفاظ عليها من الفتن والتداعيات الناتجة عن الثورات المحلية، وما كانوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من تبريز علمي وإبداع أدبي، لولا جهدهم وكدهم ومعاناتهم من أجل حماية الآثار العلمية لمن سبقهم من العلماء. كل ذلك يدفعنا من أن نأخذ العبرة، عبر رد الإعتبار لهذه الطليعة المثقفة التي بات اليوم من الضروري أن نعمل بصدق، وجد، وبتفاني، في سبيل إخراج مخطوطاتها للنور، بتحقيقها وتصنيفها، وتقديمها للقُراء، كونها جزاءً هامًا من التراث الوطني الجزائري الذي يتم توارثه من جيل إلى آخر، للحفاظ عليه وصيانته، بحشد همم علمية عالية، وإرادات أكاديمية صادقة، لها غيرة على هذا الزاد الذي هو في حاجة إلى توثيق أكاديمي، بمنهج علمي، وخبرة فنية، وإتقان في الإخراج.

قائمة المراجع:

1.بومدين محمد. (2021). «إضاءات على نماذج من ذخائر الكتب وخزائن المكتبات الخاصّة بعلماء تلمسان خلال العهد العثمانيّ»، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلة محكمة دولية تصدرها جامعة وهران02، المجلد 10 العدد الثاني (02)، 16 مارس.

2.التلمساني (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي الحفيد كان حيا سنة 1284هـ/1867م). (1867). مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 50 ورقة.

3.التلمساني (أبو العباس الحاج أحمد بن محمد ابن هطال ت 1219هـ/1804م). (1969). رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: بن عبد الكريم محمد، القاهرة: عالم الكتب.

4.التلمساني (حمو بن روستان توفي قبل 1272هـ/ 1864م). (2021). تحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار جامع الكتابات الأثرية التلمسانية ـ، إشراف: بروسلار شارل، تقديم وتحقيق وتعليق: عمارة علاوة وكعوان فارس، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/ 1403م):

5.————(2007). المقدمة، ط1، لبنان: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

6.ـــــــــــ(2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (ج7)، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7.دحماني صبرينة نعيمة. (2020). الآثار الإسلامية الدينية بمدينة تلمسان، إحصاء وجرد وتحليل، (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية)، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
8.الراشدي (أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون ت بعد 1211هـ/ 1796م). (2012). الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
9.الزياني (أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم ت 1241هـ/ 1836). (1991). الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برًا وبحرًا، أو الرحلة الربانية والروضة السلمانية أو ترجمانة الدنيا وما فيها من الأمصار، تعليق: عبد الكريم الفيلالي، الرباط: مطبعة المعارف.
10.الصيداوي يوسف. (1999). الكفاف، لبنان: دار الفكر.
11.الشيباني (أحمد الادريسي). (1987). مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، (د.م.ط).
عبد المعطي (حسام محمد). (2015). المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مصر: مكتبة الإسكندرية.
12.علي حشلاف (أبو محمد سيدي عبد الله ابن محمد بن الشارف). (1929). سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس: المطبعة التونسية.
13.الفاسي (عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير ت 1383هـ/1983م). (2003). معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، (ج2)، تصحيح وتعليق: خيالي عبد المجيد، منشورات محمد علي بيضون، لبنان: دار الكتب العلمية.
14.أبو القاسم سعد الله. (2009). تاريخ الجزائر الثقافي 1500 1930، (ج2)، الجزائر: دار البصائر.
15.الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس ت 1345هـ /1945م). (2004). سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، (ج2)، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني وآخرون، الدار البيضاء: دار الثقافة.
16.الكتاني (عبد الكبير بن هاشم ت 1350هـ/ 1950م). (2002). زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق: الكتاني علي بن منصور، الدار البيضاء: منشورات مطبعة النجاح الجديدة.
17.المدني أحمد توفيق. (1984). كتاب الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
18.المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف. (1999). الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، القاهرة.
19.نجراوي فاطمة الزهراء. (2017 2018). الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة مقاربة لغوية تطورية (منطقة تلمسان أنموذجا)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تحت اشراف: أ.د: سعيدي محمد، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد.

20.الناصري (أبو راس محمد بن أحمد البرجي ت 1238هـ/ 1823م). (1989). فتح الإله وَمنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
21.الهاشمي كمال دحو مان الشريف. (2013). أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع، تقديم: المختار محمد حسن العمرو، الجزائر: دار الخلدونية.
22.Anonyme, , (1830). Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d’un vocabulaire de mots arabes les plus usuels à l’usage des Français en Afrique, typographie de Feissat, Marseille.
23.Barges (Labbe). (1859). Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage, Paris: Challamel Aine Libaire.